الدكتور
محمد عمر الحاجي

شخصية المرأة المسلمة

في ضوء القرآن والسنة

تقديم

الأستاذ محمد راتب النابلسي

210.
م ش

شخصية المرأة المسلمة

شَخْصِيَّةُ
الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور محمد عمر الحاجي

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

٢١٠/٤
ح م ش

شخصية المرأة المسلمة

في ضوء القرآن والسنة

تقديم

الأستاذ محمد راتب النابلسي

دار المكتبي

الطبعة الأولى

1420هـ - 2000م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

من وحي التنزيل

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٣٥] .

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الداعية

محمد راتب النابلسي

كتاب « شخصية المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة » للأخ الكريم « الدكتور محمد عمر حاجي » يتحدث عن المرأة التي هي نصف المجتمع البشري ، والتي ظُلمت عبرَ حقب طويلة من تاريخ الإنسانية ، فجاء الإسلام الذي هو منهج الله في الأرض ، فكرّمها وأعطاها الحقوق التي تليق بإنسانيتها ، كما أنه كلفها بواجبات منوطة بها تؤكد من خلالها رسالتها في الحياة التي خصها الله بها ، وقد توجهتُ في هذا التقديم إلى توضيح موضوع مساواة المرأة بالرجل من خلال الكتاب والسنة .

المرأة في الإسلام وفي ضوء الكتاب والسنة مساوية للرجل تماماً ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١] .

﴿يا أيها الناس﴾ : تعني الرجال والنساء .

فالمشاعر التي يشعر بها الرجل تشعر بها المرأة ، والقيم التي يسمو إليها الرجل تسمو إليها المرأة ، والبطولة التي يحققها الرجل تحققها المرأة ، فالرجل والمرأة من نفس واحدة .

المرأة من حيث هي إنسان مشابهة للرجل تماماً ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود وأحمد والترمذي : « إنما النساء شقائق الرجال » . ولقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح :

« عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ »(١) .

والمولود : يعني ذكراً كان أو أنثى .

وأية نظرة إلى المرأة على أنها من طبيعة أخرى ، هي دون الرجل تعد نظرة جاهلية ، لايقرها الإسلام ، ولايقبلها ، بل جاء ليحاربها .

فكما أن الرجل يستقيم كذلك المرأة تستقيم ، وكما أن الرجل ينحرف ، كذلك المرأة تنحرف ، يؤمن وتؤمن ، يكفر وتكفر ، يطيع وتطيع ، يعصي وتعصي ، يسمو وتسمو ، يرقى وترقى . قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧ـ٨] .

والنفس تعني : ذكراً كان أو أنثى .

فألهمها فجورها وتقواها : أي ركّب في فطرة الإنسان ذكراً كان أو أنثى أنها تعرف طريق فجورها ، وطريق تقواها ، وأنها إذا اتقت أو إذا فجرت تعلم بفطرتها أنها اتقت أو فجرت .

هذا هو الإسلام من منابعه ، هذا هو الإسلام من مصادره ، العبرة لابالواقع الذي يعيشه المسلمون ، ولكن بالمبادىء السامية التي جاء بها الكتاب والسنة .

في إحدى بنود قانون حمورابي الذي يدرسونه في كليات الحقوق أنه

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد ومالك .

من قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يسلم بنته لذاك الرجل ليقتلها!!..

ماذنبها؟ ماذنب ابنة القاتل لتقتل مكان المقتولة؟ .

قال تعالى في القرآن الكريم :

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨ - ٩].

ومن مظاهر المساواة : المساواة في القصاص ، قال الله عز وجل :

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٩].

وفقهاء الشريعة الإسلامية يقررون أن الرجل يُقتل بقتل المرأة ، فكرامتها من كرامته ، وكرامته من كرامتها .

بل إن الإسلام العظيم جعل الذين يرمون المحصنات الغافلات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء جعل قصاصهم أن يُجلدوا ثمانين جلدة ، وألا تُقبل لهم شهادة أبداً ، حتى لو تابوا لابد من أن يُجلدوا ثمانين جلدة ، فالحدود لاتسقط بالتوبة .

والمرأة مساوية للرجل في حقها في الميراث ، قال تعالى :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء : ٧] .

وأما أن للذكر مثل حظ الأنثيين فله تفصيل رائع يتناسب مع شمولية منهج الله في الأرض .

ثم إن المرأة مساوية للرجل تماماً في الأقارير (جمع إقرار) والعقود والتصرفات . يعني بإمكانها أن تشتري ، وأن تبيع ، وأن تقرَّ بيعاً أو شراءً ، فالتبرع ، والصدقة ، والدين ، والوقف ، والكفالة ، والوكالة ، هذه كلها تتساوى فيه المرأة مع الرجل .

إن المرأة مساوية للرجل في أنها مكلفة بأركان الإيمان ، ومكلفة بكل التكاليف الشرعية التي كلف الله بها الرجل . والأدلة من

كتاب الله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

لو أن الله سبحانه وتعالى قال : إن المسلمين والمؤمنين والقانتين والصادقين والصابرين والخاشعين . . . لكانت هذه الآية تشمل الرجال والنساء ، ولكن الله أراد أن يؤكد ، وأن يبين ، وأن يزيل اللبس من أن المرأة كالرجل مساوية له تماماً في التكاليف الشرعية ، وفي أركان الإيمان ، وفي أركان الإسلام .

دليل آخر :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

ودليل ثالث :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

بل إن المرأة مخلوق مستقل من حيث مسؤوليته عن عمله عن الرجل ، وهي مكلفة استقلالاً بالتكاليف الشرعية ، وفي الحديث الصحيح :

« والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها »(١) .

أوضح شاهد امرأة فرعون ، قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) متفق عليه .

« كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ أربع آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ » .

آسية زوجة رجل ادعى الألوهية ، وأذلَّ الناس ، قتَّل أبناءهم واستحيا نساءهم ، ولم يستطع بكل جبروته أن يحمل امرأته على أن تعبده كما يعبده كل الناس ، قالت :

﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم : ١١] .

معنى ذلك أن المرأة مستقلة استقلالاً تاماً في أنها مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام ، والتكاليف الشرعية ، وتُحاسب وحدها عن تقصيرها .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] .

والمرأة أيضاً مساوية للرجل في وجوب التربية والتهذيب ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

الأهل في القرآن الكريم الزوجة والأولاد .

وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي :

« ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن » .

والولد : ذكراً كان أو أنثى .

وابن ماجه يروي عن رسول الله ﷺ أنه « ما من مسلم له بنتان فيحسن

إليهما ماصحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » .

وعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلاث أَخَوَاتٍ أَوِ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ »(١) .

وفي رواية تضاف إلى هذا الحديث :

« فأدبهن ، وأحسن إليهن ، وزوجهن فله الجنة » .

والمرأة مساوية للرجل تماماً في العلم الواجب العيني ، وفي العلم الواجب الكفائي ، فإذا كانت مكلفة بأركان الإيمان ، وأركان الإسلام ، وبأحكام الشريعة ، فهذا لايكون إلا بالعلم ، قال تعالى :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

طلب العلم فريضة على كل مسلم ؛ أي على كل شخص مسلم ذكراً كان أو أنثى .

و عن عبد الله بن قيس قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وآمن بِي فَلَهُ أَجْرَانِ وَأَيُّما مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ مَوَالِيهِ وَحَقَّ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرَانِ »(٢) .

وقال عروة بن الزبير يصف خالته السيدة عائشة رضي الله عنها قال : « ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها » .

وكثيرة جداً الأحاديث التي روتها أمهات المؤمنين ، وكثيرة جداً

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

(٢) متفق عليه.

تلك الأقوال المنسوبة إليهن في التفسير ، وفقه الحديث ، وكثيرات جداً النساء اللواتي حفظن كتاب الله ، أو حفظن كثيره .

والمرأة مساوية للرجل في وجوب تمسكها بالأخلاق الباطنة من طهارة القلب ، وسلامة القصد ، والأخلاق الظاهرة من ضبط اللسان وضبط الجوارح والأعضاء . قال تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

[الكهف : ١١٠] .

ذكراً كان أو أنثى .

والمرأة مساوية للرجل في وجوب تحقيق الكليات الست التي جاء الإسلام من أجلها . فالإسلام يقوم على كليات ست ، من اعتدى على إحداهن فله في نص القرآن الكريم عقوبة محددة ذكراً كان أم أنثى ، هي الحد الذي جاء به القرآن الكريم وفصَّلته السنة .

« الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، والأمن »

النفس : والقصاص يصيب الرجال كما يصيب النساء .

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

المال : قال تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٨] .

العقل : شارب الخمر ينبغي أن يُجلد ثمانين جلدة ذكراً كان أم أنثى .

العرض : من اعتدى على أعراض الآخرين فعقوبته الجلد أو الرجم ذكراً كان أو أنثى :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور : ٢] .

الأمن : فمن حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ، إما أن يقتل ، وإما أن يقطع ذكراً كان أو أنثى .

حتى أن الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في الدعوة إلى الله ، ينبغي أن تنقل ما تعلمته إلى أخواتها ، وعليها أن تنشر هذا الدين لقول الله تعالى :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١-٣] .

السيدة خديجة حينما جاء النبيَّ الوحي ، جاء إليها وقال لها : خشيت على نفسي ، فماذا قالت؟ قالت :

كلا والله لايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر .

لقد كانت رضي الله عنها مع النبي في دعوته .

وأول امرأة شهيدة قُتلت في الإسلام : سمية وزوجها ياسر ، قُتلا دفاعاً عن عقيدتهما ، وعن تمسكهما بهذا الدين القويم ، فالمرأة أيضاً تدعو إلى الله ، وتنشر هذا الدين في الحقل الذي يناسبها ، وفي الحدود التي يسمح لها به .

هذه نصوص الكتاب والسنة ، التي تبين أن المرأة إنسان بكل مافي هذه الكلمة من معنى ، وأنها مساوية للرجل بكل مافي هذه الكلمة من معنى .

محمد راتب النابلسي

تمهيد

الحمد لله القائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى ﷺ القائل : « النساء شقائق الرجال »(١) .

وبعد :

حفل القرآن الكريم بالحديث عن جوانب متعددة من أمور النساء ، حتىٰ بلغت الآيات قرابة (٢٠٠) المئتين آية ، إلى جانب إفراد سورتين للنساء هما : سورة الطلاق ، وسورة النساء .

وتلقف المسلمون الأوائل ذلك ـ إضافة إلى الأحاديث النبوية الكثيرة ، والتي تشرح ما جاء في القرآن ، أو تزيد ـ أحسن ما يكون الأخذ ، فدرسوه وطبقوه على أرض الواقع ، فعاش الرجل إلى جوار المرأة ، كلٌّ منهما يكمل الآخر ولا يعارضه . . . .

لكن مع تقادم الزمان ، ودخول بعض العادات والتقاليد الجاهلية ، سواء العربية منها أو الأجنبية ، وإضافة إلى ظهور المغالين والمتشددين

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي : رقم (١١٣) ، وأبو داود : رقمه (٢٣٦) ، والإمام أحمد في المسند : رقمه (٢٥٦٦٣) .

والمتنطعين في العصر العباسي وما بعد ، فطبق الناس فكرة سد الذرائع على النساء!!

فمن باب سدّ الذرائع منعوا النساء من حضور العبادات والتعلم والتعليم في بيوت الله!!

ومن باب سدّ الذرائع أشيعت مقالات وألصقت بالأحاديث النبوية الشريفة : مثال مسألة عدم مشاورة النساء ، أو مشاورتهن ومخالفتهن!!

كذلك أفتى البعض في أمور ، وكانت اجتهادات خاطئة ، لكن تقديس الأشخاص هو الأمر الذي ابتُلينا فيه ـ وللأسف الشديد ـ فكانت النتيجة سيئة جداً .

لكن هل المرأة خصم الرجل ؟ وهل المرأة كالأفعى تضلّ الرجال ؟ وهل المرأة لها تركيبة خاصة ومعقدة ؟ وهل الواجب سجن المرأة وعدم خروجها إلى الحياة ؟!

علمنا القرآن الكريم منهج الرجوع إلى الأصول ، حيث الأصل الأول هو القرآن الكريم ، وخير شارح لهذا الأصل هو الأصل الثاني ، وهي سنة رسول الله ﷺ :

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩] .

وإذا شاء الله أمراً كان المراد ، فعمدت إلى القرآن والسنة أبحث فيهما عن الأمور التي تتحدث عن شخصية المرأة المستقلة ، فوجدت أن المرأة شاركت الرجل في غالبية الأحداث : في الأسرة ، وفي الهجرة ، وفي البيعة ، وفي الحروب ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي الحياة السياسية ، وفي الحياة الاجتماعية ، وفي رواية الأحاديث الشريفة ، وفي العمل المهني ، وفي الاحتفالات العامة ، وفي الأمور التعبدية ، وفي أمور العلم. . .

وهناك نماذج رائعة في القرآن الكريم والسنة الطاهرة تجسّد شخصية المرأة المسلمة ، مثالها : زوجة فرعون ، ومريم العذراء ، وابنة شعيب ، وأم موسى ، وخولة بنت ثعلبة ، وزوجة إبراهيم ، وغيرهم الكثير الكثير .

وكان أهم بابين في الكتاب : الأول ـ شخصية المرأة في ضوء القرآن والسنة ، وفيه تفصيل عن الأمور التي تتحدث عنها في القرآن وتتحدث عنها السنة ، فيما يتعلق بقوة شخصية المرأة واستقلالها و . . .

الثاني ـ نماذج نسائية ـ للقدوة الصالحة ـ في القرآن الكريم والسنة الطاهرة .

ولعل الخوض في مثل هذا الموضوع يشبه الدخول في بحر متلاطم الأمواج ، ولا يسعنا أمام أمثال هذه القضايا إلا الاعتراف بتقصيرنا وعجزنا ، مما يعزز فينا التشفع بقوله تعالىٰ :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

مع الرجاء من كل أخٍ قارىء أن لا ينسني من الدعاء في ظهر الغيب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين . . .

* * *

الباب الأول

شخصية المرأة في القرآن والسنّة

الفصل الأول :

حديث القرآن الكريم عن شخصية المرأة .

الفصل الثاني :

المنهج النبوي في الحديث عن شخصية المرأة .

تمهيد

إذا أردنا الوقوف عن كثب عند مسألة المكانة التي أعطاها الإسلام للمرأة ، فلا بدّ من العود قليلاً إلى التاريخ لنرى كيف أعطت الأديان الأخرى للمرأة مكانتها .

ففي اليهودية :

الزوجة خاضعة للزوج ، والأب يزوجها لمن يشاء دون مشورتها ولا رضاها ، لذلك انتشر اللواط بين اليهود ، وكذلك انتشر الزنى ، فكثرت العاهرات ، وأصبح اتصال الرجال بينهن أمراً مشروعاً!! ووصل الأمر إلى أن المرأة اليهودية أصبحت كالمتاع يملكه الرجل وله الحق الكامل في أن يتصرّف فيه كيفما يشاء!!

وفي المسيحية :

انتشرت العلاقات الجنسية غير المشروعة بينهم ، وساد اعتقاد أن التقوىٰ والتورع آخر يوم في الأسبوع يكفي لغسل ذنوب جميع أيام الأسبوع!!

وانتشرت الرذيلة حتى في طريق الذهاب إلى الحج ، بل وحتى في الكنائس ، وبرروا ذلك بأشياء لا يقبلها العقل ولا الشرع ، قال القديس أوغسطين : إذا منعت العاهرات والمواخير اضطربت الدنيا من شدة الشبق!!

وكان القساوسة ينظرون إلى المرأة على أنها : شرّ لا بد منه ، وإغواء طبيعي ، وكارثة مرغوب فيها ، وخطر منزلي ، وفتنة مهلكة و . . !!

يقول القديس (توماس أكونياس) : (إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها الجسمية والعقلية معاً ، والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها كما أن الله مبدأ كل شيء ومنتهاه ، وقد فرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة ، أما العبد فليس كذلك ، ويجب على الأبناء أن يحبوا آباءهم أكثر مما يحبون أمهاتهم) .

وقد أقرّ القانون المدني قضايا فيها العجب العجاب ، من ذلك مثلاً :

١ـ يجوز للرجل ضرب وعقاب زوجته وحتى بدون سبب لذلك!

٢ـ لا يجوز للمرأة أن تحضر إلى المحكمة ولا أن تقول فيها كلمة ، ولا أن تسمع إطلاقاً أو يؤخذ بما قالت لأي سبب .

٣ـ يعطي الزواج للزوج كامل الحق في الانتفاع بكل ما لزوجته من متاع أو مال أو غيره في وقت الزواج ، وله أن يتصرف في ريعها كما يحلو له ، رضيت بذلك أو لم ترضَ!

٤ـ يحتم على المرأة أن تقوم وحدها بكافة الأعمال المنزلية على وجه الإلزام ، حتى إن تقصيرها في ذلك كان يعدّ من مبررات الطلاق أحياناً!!

أما في الحضارات الحديثة :

فقُبيل سنوات كان هناك ما يسمىٰ الحضارة الشرقية متمثلة بالمعسكر الاشتراكي والذي كان يتزعمه الاتحاد السوفياتي .

والشيوعية ـ كما هو معلوم ـ لا تعتقد بوجود أديان بحيث أطلقت شعارات تقول : إن هي إلا أرحامٌ تدفع ، وأرض تبلع ، ولا ربّ في

السماء ، ولا نبي في الأرض ، وأن الأديان أفيون الشعوب!! لذلك أغلقت المساجد وحوّلت بعضها إلى مستودعات للفودكا!!

كذلك فقد ركزت الشيوعية علىٰ إلغاء الأسرة ، ونادت النساء بحق الإجهاض ، واعتبرت الزنى حقاً للمرأة تعبر به عن شهوتها الجنسية!!

وأصرّ أقطاب الشيوعية على خروج المرأة إلى العمل وإلا فلا عيش ولا أكل لمن لا يعمل! لذلك أجبرت المرأة على العمل في المصانع والمناجم والأعمال الشاقة لتختفي أنوثتها شيئاً فشيئاً لتتمزّق الأُسر ، ولتُرفع القيود عن العلاقة بين الرجل والمرأة. . .

إذاً : باسم المساواة بين الرجل والمرأة ، حُرمت المرأة من كثير من الحقوق ، كحقها في أن تكون زوجة ، وأن تكون أماً ، وحمِّلت ما لا تطيق في العمل والركض وراء لقمة العيش ، فهل وصلت المرأة الشيوعية إلى جنة الفردوس التي حلم بها (ماركس) في أن تكون على سطح الكرة الأرضية حين تطبيق الشيوعية ؟!

وأما في الحضارة الغربية ، والتي قامت أساساً على نفي الغيبيات والاعتقاد فقط بالملموسات وعلى المناداة بحرية الفكر وتقديس العلم ، لذلك ظهر الإلحاد ونظريات العودة إلى الدهرية ، والتي تعني نسبة كل الأحداث إلى الدهر!

وظهر من فلاسفتهم : فولتير ، وروسو ، وسبنسر ، ودارون. . وتمحور المفهوم العصري لأصحاب هذه الحضارات على نفي وجود الله سبحانه ، واللجوء إلى عبادة المال والشهرة والشهوة الجسدية ، لذلك انتشرت الإباحية ، والتي تعني : أن يبيح الرجل أو المرأة لنفسه أن يفعل ما يريد ما دام ذلك يحقق له إشباع حاجاته وشهواته!!

وكان من جرّاء ذلك كله انتشار الخمر والمخدرات ، وانتشار العري

واللواطة والشذوذ الجنسي والزنى والفسق والفجور ، وما يُنقل اليوم عبر شاشات الصحون المقعرة (الستلايت) و (الأنترنيت) والأقمار الصناعية ـ مما يجعل ناصية الأطفال تشيب ـ عنا ببعيد!!!

أما مكانة المرأة في ظل الحضارات القديمة ، كحضارة مصر القديمة ، وفي حضارة بابل وآشور ، وفي الهند وبلاد فارس ، وفي الصين واليابان ، وفي اليونان ، وعند الرومان ، فلم تكن أحسن حالاً من حالها عند اليهود والنصارىٰ! حيث انتشار الراقصات العاريات ، وانتشار الدعارة المقدسة ، وبيع النساء كما تُباع السلع ، وعدم أخذ رأيها بما يتعلق بزواجها ، وتحريم تعليمها ، والتمييز بين الذكور والإناث..!!

أي في كل الفترات كان الرجل هو المتحكم بكل أمور المرأة ، وهي لا حقّ لها إطلاقاً ، لأنها إنما خُلقت من أجل إشباع شهوة الرجل وما إلىٰ هنالك!!

ولا فرق بين المرأة وأي متاع يملكه الرجل ، فكما له الحق في أن يضرب المتاع ويكسره ويرميه في القمامة أو الحقل الزراعي ، كذلك له الحق في ممارسة ذلك مع المرأة!!

كذلك فقد انتشرت الخرافات في هذا المجال ، والذي زاد الطين بلّة آراء الفلاسفة ورجال الدين ، والذين كان لهم الدور الكبير في إهانة المرأة وإذلالها وباسم الدين!![(١)] .

* * *

---

(١) لقد فصّلت القول في ذلك . في كتابي : النساء شقائق الرجال ، الباب الأول . وللتوسع يراجع : قصة الحضارة ، ول ديورانت : ٢/ ٣٧ـ٩٦ ، ترجمة زكي نجيب محمود .

الفصل الأول

حديث القرآن عن شخصية المرأة

في القرآن الكريم حديث مستفيض عن تحديد شخصية المرأة ، ويمكن ضبط ذلك بما يلي :

أ ـ المرأة دائماً بجوار الرجل :

وذلك لأن الأصل واحد ، قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء : ١] .

وفي حديثه عن خروج آدم وحواء من الجنة ، يؤكد القرآن على أنها متساويان ، وأن شخصيتها إلى جوار شخصيته ، قال الله تعالى :

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١١٧ـ١٢٣] .

إن الحكاية هنا توضح مسألة الشخصية المستقلة للمرأة إلى جوار شخصية الرجل ، ونلمح ذلك في قوله تعالى : ﴿لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ و ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ و ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ و ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ و ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ .

ورحم الله العلامة القرطبي عندما قال ـ وهو يعلّق علىٰ هذه القصة ـ :

﴿فتشقىٰ﴾ يعني أنت وزوجك لأنهما في استواء العلة واحد ، ولم يقل : فتشقيا ، لأن المعنى معروف ، وآدم عليه السلام هو المخاطب ، وهو المقصود .

وأيضاً لما كان الكادّ عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص ، وقيل : الإخراج واقع عليهما والشقاوة على آدم وحده ، وهو شقاوة البدن ، ألا ترىٰ أنه عقبه بقوله : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ أي في الجنة ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ فأعلمه أن له في الجنة هذا كله : الكسوة والطعام والشراب والمسكن ، وأنك إن ضيّعت الوصية ، وأطعت العدوّ أخرجكما من الجنة فشقيت تعباً ونصباً ، أي جُعتَ وعريتَ وظمئتَ وأصابتك الشمس ، لأنك ترد إلى الأرض إذا أخرجت من الجنّة ، وإنما خصّه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان : يعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج ، فمن يومئذٍ جرت نفقة النساء على الأزواج ، فلما كانت نفقة حواء علىٰ آدم كذلك نفقات بناتها علىٰ بني آدم بحق الزوجية ، وأعلمنا في هذه الآية أن النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة : الطعام والشراب والكسوة والمسكن ، فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها ، فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور ، فأما هذه الأربعة فلا بدّ لها منها ، لأن بها إقامة المهجة .

قال الحسن : المراد بقوله : ﴿فتشقىٰ﴾ شقاء الدنيا ، لا يُرىٰ ابنُ آدم إلا ناصباً ، وقال الفراء : هو أن يأكل من كد يديه[1] .

ويؤكد القرآن مبدأ استقلال شخصية المرأة من خلال الحديث عن بعض الآداب ، ليبين أن المرأة في هذا المجال تتحمل المسؤولية كما يتحملها الرجل تماماً . قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات : ١١] .

وفي مجال الحديث عن الجزاء من الله تعالى ، يؤكد القرآن الكريم على مسألة استقلالية المرأة كما الرجل مستقل في ذلك ، قال الله تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧٢] .

وفي مسألة الإنفاق والصدقة في سبيل الله تعالى ، فالجزاء واحد للرجل والمرأة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد : ١٨] .

والجنة ليست حكراً على الرجال! إنما هي للذين يؤمنون بالله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٦/ ١٦٤ـ١٦٥ ، وللتوسع يراجع : تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير : ٤/ ٥٤٤ ، التفسير الكبير للرازي : ٢٢/ ١٢٠ ، أحكام القرآن لابن العربي ، ٣/ ٢٥٧ ، فتح القدير للشوكاني : ٣/ ٤٥٩ .

ويسيرون على المنهج ويعملون الصالحات ، سواء كانوا رجالاً أو نساءً ، قال تعالى :

﴿ لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٥] .

والذين يسيرون في خط الاستقامة يبشرون ـ رجالاً ونساءً ـ بما أعدّه الله لهم من النعيم والجنان والفوز . قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد : ١٢] .

وكيفما كان الحال في مسألة الأعمال الصالحة ، فلا فرق بين جزاء الرجال والنساء ، وضرب الله تعالى نماذج ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

إذاً :

المسؤولية أمام الله واحدة ، المرأة تتحمل مسؤوليتها وهي ستُسأل عنها ، وكذلك الرجل ، قال تعالىٰ بعد ذكره لطائفة من أدعية الصالحين :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

والله تعالىٰ وهو العدل المطلق لا يسمح أن يُظلم أحد أبداً ، حتى قدر النواة لذلك فإنه سيُحاسب الذكر والأنثى بدقة متناهية ، قال الله تعالىٰ :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٤] .

وأكد ذلك مرة أخرى ، قال تعالىٰ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

وفي الحديث عن مصير أولئك المنافقين والعصاة ، يؤكد على مسألة المساواة في الجزاء بين الطرفين ، قال تعالىٰ :

﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٧-٦٨] .

ويؤكد ذلك مرة أخرىٰ ، قال الله تعالىٰ :

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٦] .

وعندما يحدث الندم على ما فرّط الناس من حقوق وواجبات أمام الله تعالىٰ ، عندئذٍ يشمل ذلك النساء والرجال ، قال الله تعالىٰ :

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣] .

والحساب والجزاء عند الله لا يختلف أبداً ، فالإنسان ـ سواء كان رجلاً أو امرأة ـ إن كان مؤمناً فإن جزاءه الجنة ، وإلا ـ فالمرأة والرجل ـ فالنتيجة الحتمية لعمل السوء جزاء سيِّىء ، قال تعالىٰ :

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[غافر : ٤٠] .

.. وهكذا في مجال التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ، فالمسألة لا تتحمل التفريق بين الرجال والنساء ، فعلى الرجال والنساء التسليم المطلق لله تعالىٰ .

قال عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وفي مجال التوحيد لله والاستغفار له ، فلا تمييز بين رجال ونساء ، إنما المطلوب أن يستغفر الإنسان للمؤمن ـ سواءٌ كان رجلاً أو امرأة ـ قال تعالىٰ :

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد : ١٩] .

والإسلام العظيم يركز على مسألة أن يكون الدعاء للمجموع ، وفي هذا من التكافل وتحمل المسؤولية الجماعية مالا نجده عند الآخرين ، لذلك لا يقول المؤمن في صلاته : (إياك أعبد وإياك أستعين) ، إنما يقول بلسان حال الجماعة كلها :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥] .

وهكذا يكون الدعاء في كل الأوقات ، لا يدعو المؤمن لنفسه ، إنما

يدعو لكل المؤمنين ـ سواء كانوا رجالاً ونساءً ـ قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨] .

إذاً : المرأة حسب المفهوم القرآني هي التي تختار طريق الإيمان لتنال رضا الله والفوز بالجنة ، وهي التي تختار طريق الكفر لتنال سخط الله وعقابه ، وقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة الناصعة ، من خلال ضرب الأمثلة ، ومن ذلك قصة أبي لهب وزوجه أم جميل :

فأبو لهب ـ الرجل ـ هلكت يداه وخسرت بسبب ما فعل من أذى النبي وازدرائه وبغضه والاستهزاء به ، ثم توعّده الله بأنه سيذيقه حرّ نار جهنّم .

ومثله زوجه أم جميل (أروىٰ بنت حرب ، أخت أبي سفيان) أيضاً ستصلىٰ ناراً ذات لهب ، لما كانت تحمل من أشواك لتطرحها أمام رسول الله ﷺ ، وكانت تطيل لسانها عليه ، بالشتم والإفساد والنميمة ، وقال تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾

[المسد : ١ـ٥] .

وفي قصة امرأة نوح وامرأة لوط ـ عليهما السلام ـ عبرة لمن كان فيه العقل والتفكير ليعتبر ، ذلك أنهما كانتا في عصمة رسولين ، وتعيشان معهما في بيت ، وتخالطانهما وتعاشرانهما ، ومع ذلك خانتا الله ورسوله ، فلم تؤمنا بهما .

بل قال المفسرون : إن امرأة نوح كانت تقول للناس عن زوجها : لا تصدّقوه فإنه مجنون!

وكانت امرأة لوط عليه السلام تقوم بمهمة التجسس عليه لصالح قومه الكفرة!!

فهل نفعهما مسألة قرابتهما من نوح ولوط عليهما السلام ؟!

أبداً ، فالقرآن توعدهما بالعذاب الشديد ، ودخول النار مع الداخلين من أهل الكفر والمعاصي ، فالذي ينفع هو العمل وحده ، وهذا دليل واضح على استقلالية شخصية المرأة .

وفي المقابل مثل آخر يؤدي إلى عكس المثل السابق :

(آسية بنت مزاحم) امرأة فرعون ، لم تنخدع بجبروته وسحره ، ولم تخف سلطانه وبطشه ، إنما استقلت برأيها ، وأعلنت إيمانها مع نبي الله موسىٰ عليه السلام ، فما كان من فرعون إلى أن سلّط عليها أشدّ أنواع العذاب ، فثبتت ثبات الجبال الرواسي ، ولم تتراجع عن العقيدة ، فكان الجزاء لها بيتاً في الجنة. . . .

وهكذا (مريم بنت عمران) التي عاشت بين قوم عصاة ، لكنها تحمّلت مسؤوليتها ، وانطلقت تناجي ربها ، وصدّقت بكتب ربها وكلماته ، فجمع الله لها بين كرامة الدنيا والآخرة ، وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبيِّ ﷺ قال : « كمُلَ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[1] .

وفي هذا دليل واضح على استقلالية شخصية المرأة ، بحيث لا يضرّ المرأة كفر قومها إن كانت هي مؤمنة بالله ، ولا ينفعها إيمان قومها ، بل

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٦١) والبخاري (٣٧٧٠) ومسلم (٢٤٤٦) .

حتى رسالة الله إلى زوجها إن كانت هي كافرة بالله ، قال تعالى :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم : ١٠-١٢] .

ب ـ مشاركة المرأة الرجل في الأمور العامة :

ركّز القرآن الكريم على مسألة استقلالية المرأة إلى جوار استقلالية الرجل في كثير من الأمور العامة ، مثال ذلك مسألة الهجرة والمبايعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و . . . .

ففي مسألة مبايعة رسول الله ﷺ ، يروي ابن سعد عن عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة قال : قالت أم عمارة : كانت الرجال تصفّق على يد رسول الله ﷺ ليلة بيعة العقبة والعباس بن عبد المطلب آخذٌ بيد رسول الله ، فلما بقيتُ أنا وأم منيعٍ نادىٰ زوجي عرفةُ بن عمرو : يا رسول الله ، هاتان امرأتان حضرتا معنا تبايعانك .

فقال رسول الله ﷺ : « قد بايعتهما على مابايعتكم عليه ، إني لا أصافح النساء » قالت : فرجعنا إلىٰ رحالنا فلقينا رجلين من قومنا ، سليط بن عمرو وأبا داود المازني يريدان أن يحضرا البيعة ، فوجدا القوم قد بايعوا ، فلما كان بعدُ بايعا أسعد بن زرارة وكان رأس النقباء في السبعين ليلة العقبة(١) .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ : ٨/ ١١ .

وساق الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالىٰ رواية البخاري ، والتي فيها قول النبي ﷺ : « تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف ، فمن وفّىٰ منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلىٰ الله ، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه »(١) .

وهكذا في مسألة تحمل المؤمن الشدائد والمحن ، فهي تشارك الرجل في ذلك ، وفي هذا دليل على استقلال شخصيتها :

ففي سورة النساء حديث مستفيض عن قواعد القتال في الإسلام ، كالحذر من الأعداء ، والتأهّب لذلك ، وحمل السلاح ، وإعداد الجيش المتدرب ، والنهوض للقتال جماعات جماعات .

أما اختلاف الأعذار للتخلّف عن القتال فهذا دأب المنافقين ، لذلك فلا بدّ من نصرة وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، والذين منعهم الكفار ـ أهل قريش ـ من الهجرة إلىٰ المدينة المنورة ، وفي هذا الدليل على تحمّل المحن والشدائد من قبل النساء إلىٰ جانب الرجال ، قال تعالىٰ :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٧٥] .

ثم يركز القرآن الكريم علىٰ مسألة تحمّل النساء مع الرجال الأذىٰ ،

---

(١) صحيح البخاري : ٢/ ١٣٢٤ ، رقمه (٣٦٧٩) .

سواء كان ذلك باللسان أو الفعل ، وفيه دلالة واضحة علىٰ استقلال شخصية المرأة تماماً ، قال تعالىٰ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

لذلك فشتم المؤمن أو المؤمنة ، وضربه أو ضربها ، وقتله أو قتلها ، وطعن شرفه وعرضه وطعنها ، ونسبة شيء له وهو بريء منه وكذلك هي. . . . . ، كل ذلك عند الله يعتبر من الأمور المخالفة للشرع ويحاسب عليها الإنسان حساباً عسيراً. . .

ثم يضرب القرآن مثالاً واضحاً ، ليكون بمثابة الدليل الحيّ علىٰ مشاركة المرأة للرجل في كل شيء ، قال الله تعالىٰ :

﴿ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج : ٤ـ١٠] .

إن الله تعالى لعن أصحاب الأخدود المشتمل على النار ، وهم كفار من نصارىٰ نجران اليمن ، حيث طلبوا من المؤمنين أن يرجعوا عن عقيدتهم ، فأبى الموحدون ذلك ، فثبتوا أول الأمر ثباتاً لا تعلوها السحب التي في الهواء وما كان من أولئك الكفرة إلا أن شقوا في الأرض أخدوداً ، وأجّجوا النار فيه ، ثم قذفوا المؤمنين في تلكم النار ، فلعنهم الله لعناً لا مثيل له ، لكن ما هو سبب تحريقهم ؟

ليس هناك من ذنب اقترفوه ، ولا عيب فعلوه ، لكن القضية في ضوء القرآن الكريم :

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

وهنا تأتي الحكاية وفيها التأكيد على أن من أوصل ، أو أراد إيصال المؤمنين من جماعة مؤمني ـ أهل اخدود ـ ، هؤلاء توعّدهم الله بالنار عذاب الحريق ، ولم يميز الله تعالىٰ بين النساء والرجال ، بل دلّ علىٰ أن لكل منهما استقلالية في طريق إثبات شخصيته وموقعه ، وهكذا صبرت النسوة إلى جانب الرجال في تلكم المحنة والتسويف .

. . . ويركز القرآن أيضاً على مسألة استقلالية المرأة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمسألة الأمر والنهي لا تنحصر بالرجال فقط ، إنما أيضاً هي من وظيفة الرجال والنساء أجمعين ، قال الله تعالى .

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقد تتطلب مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترك الأوطان والهجرة إلى أماكن أخرى خوفاً من الله وحده ، ويستحب ذلك على الرجال والنساء ، كما قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وتحدثنا كتب السيرة والتراجم عن النساء اللائي هاجرن إلى مدينة رسول الله ﷺ ، وما جرى معهن من المحن والشدائد ، لكن الله تعالىٰ أنزل قرآناً يبشّر المهاجرين ـ سواء كانوا رجالاً أو نساءً ـ بالأجر الكبير

من الله تعالىٰ خاصةً إذا حدث له مشكلة أو مرض أو موت!! قال الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : آية ٩٧-١٠٠] .

وقد تحضر المرأة مع الرجال في الأمور العامة ، مثل المباهلة ، حيث جاء وفد نجران من النصارى إلى رسول الله ﷺ ، وقدّم رسول الله حججه ، فلم يعترفوا بنزاهة مريم وعبودية المسيح لله تعالىٰ ، فقال رسول الله : فليأت كل منا بأهله وليدعوا الله عليهم إن كان كاذباً . ثم جاء الرسول بابنته الزهراء ، وابنيها الحسن والحسين وصهره علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعاً ، فخاف الوفد ولم يُقدموا على المباهلة . وفي ذلك يقول الله تعالىٰ :

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران : ٥٩-٦١] .

وقد تشارك المرأة في الأمور العامة من خلال الإدلاء بشهادتها ، كما قال تعالىٰ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ

وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وبالتالي يندرج تحت هذه القضايا أمور كثيرة ، مثل : حضور المرأة الجمعة والعيدين وسائر أمور العبادات حيث لا يفرق الإسلام بينها وبين الذكر ، لأن المسألة أن الله تعالىٰ أراد للمرأة أن تكون مع الرجل ، تواسيه ، وتُشيع أمور الهدوء والطمأنينة في البيت ، وفي القرآن والسنة نماذج كثيرة عن ذلك ، ولعلّ الله أن يوفّق لشرح ذلك في فصول قادمة .

جـ ـ مشاركة المرأة الرجل فيما يتعلق بشؤون الأسرة :

امتنّ الله علىٰ عباده بمسألة الزواج بمنن ثلاث ، وجمع ذلك كله في آية واحدة ، وهي قول الله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

فالمنة الأولىٰ هي زوجة الرجل من جنسه ﴿من أنفسهم﴾ وإلا لو كانت من طبيعة أخرىٰ كالملائكة ، أو كانت من كوكب آخر كالمريخ ، فكيف تتلاءم معه ؟ !

والمنة الثانية : أن الله سبحانه جعل المكان الوحيد الذي يجعل الرجل يرتاح من عناء الحياة هو البيت الزوجي ﴿لتسكنوا إليها﴾ .

والثالثة : أنه جعل بينه وبينها المودة والرحمة ، فهو يرحم ضعفها ويساعدها ، وهي توده وتعامله بلطف واحترام .

وفي هذا دليل واضح على مشاركة المرأة الرجل في قضايا بيت الزوجية .

ثم يفصل القرآن الكريم أكثر ، ليعطي الرجل زيادة في المسؤولية وتحمّل الأعباء ، فهو بالإضافة إلى عمله خارج البيت لتأمين المال والأرزاق ، إضافة إلى هذه فهو المسؤول الإداري عن تسيير شؤون الأسرة . قال الله تعالىٰ :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٤] .

لكن هل تعني القوامة هنا الظلم والاستبداد بالرأي و(الديكتاتورية) من قبل الرجل ؟!

أبداً ، فالمسألة قد رُسمت في القرآن الكريم ، بحيث هناك توازن بين حقوق الزوجة وواجباتها ، لذلك قال الله تعالىٰ :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

فللمرأة حقوق وعليها واجبات ، وللرجل حقوق وعليه واجبات ، لكن الله أعطىٰ الرجل درجة أكثر من درجة المرأة ، ولعلها من متطلبات رئاسة البيت وقيادته ، لكن وللأسف يستغل البعض هذا المنهج ليعتبر الدرجة تساوي المسافة بين دمشق وواشنطن ! !

وهكذا نلمح في القرآن منهج إشراك المرأة ـ فيما يتعلق بأمور الأسرة ـ مع الرجل ، فلها الحق في إرضاع ولدها من مطلقها ، كما قال تعالىٰ :

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى

ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

ولها الحق في إبداء رأيها فيما يتعلق بفطام ولدها ، وبالتالي لا يجوز للرجل أن يستبدّ برأيه في أمثال هذه الأمور الأسرية ، قال الله تعالىٰ :

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

ولها الحق في أخذ النصيب الذي رسمه القرآن من الميراث ، كما قال الله تعالىٰ :

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ﴾ [النساء : ١١] .

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء : ٧] .

. . . لكن الإسلام وضع بعض الضوابط لمسألة مشاركة المرأة الرجل في الأمور العامة ، أهمها : غض البصر من كلا الطرفين ، قال تعالىٰ : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور : ٣٠-٣١] .

كذلك مسألة الالتزام الكامل باللباس الشرعي : الذي لا يصف ولا يشفّ ولا يُبدي الزينة ولا يحرك مشاعر الرجال ، قال تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ إلى أن قال ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ﴾ [النور : ٣١] .

وكذلك مسألة الوقار في الحركة والجدّية في الحديث ، فلا تكون المشية متكسّرة ولا يكون الحديث فيه نوع من عدم الوقار ، لأن ذلك كله يؤدي إلىٰ مفاسد تعود عقباها الوخيمة علىٰ الرجال والنساء ، قال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

[الأحزاب : ٣٢] .

أجل!

فالقرآن يؤكد من خلال رسمه لمعالم شخصية المرأة على مسألة مشاركتها الرجل في أمور البيت والأمور العامة ، بل وفي أدق الأمور . . .

وضرب القرآن الكريم نماذج من مشاركة المرأة الرجل ، كالحديث عن بلقيس في مملكة سبأ والقصة في سورة النمل / ٤٢ـ٤٤/ ، وخدمة زوج الخليل إبراهيم لأضيافه وتنزل الملائكة بالبشارة ، وذلك في سورة هود : / ٦٩ـ٧٣/ ، وقصة بنات شعيب عليه السلام و ما حدث بينهما وبين نبي الله موسى عليه السلام ، والقصة في سورة القصص/ ٢٣ـ٢٥/ . . . .

* * *

الفصل الثاني

المنهج النبوي
في الحديث عن شخصية المرأة

في السنة الطاهرة نلمح اهتماماً واضحاً في تحديد شخصية المرأة ، وذلك من خلال عدة محاور ، أهمها :

حضَّ رسول الله ﷺ على حُسن رعايتها :

فإذا كانت زوجةً ، فإن رسول الله أكّد على جميل رعايتها ، من ذلك ما رواه ابن ماجه أن النبيَّ ﷺ قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »(١) .

ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم أن النبيَّ ﷺ قال : « .... واستوصوا بالنساء خيراً »(٢) .

وإذا كانت بنتاً فكذلك يجب حسن رعايتها ، وقد روىٰ الإمام مسلم بالسند المتصل إلىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٧٧) والحاكم (٤/ ١٧٣) .
(٢) رواه البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) .

رسول الله ﷺ : « من عال ـ ربّىٰ ـ جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو . وضمّ أصابعه »[1] .

وروىٰ البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها حدثته قالت :

جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت ، فخرجت ، فدخل النبيُّ ﷺ فحدثته ، فقال : « من ابتُلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار »[2] .

وإن كانت أختاً ، فكذلك يجب حسن رعايتها :

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ كان له ثلاثُ بناتٍ ، أو ثلاثُ أخوات ، أو بنتان ، أو أُختان ، فأحسن صُحبَتهنَّ ، واتّقى اللهَ فيهن ، فله الجنة »[3] .

أما إذا كانت أماً ، فهناك التوصيات الكثيرة من رسول الله ﷺ ، حتى أن الجنة تحت أقدام الأمهات ، وقد روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أبوك »[4] .

حتى لو كانت أمَة ـ عبدة ـ فعليه أن يحسن رعايتها :

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣١) .
(٢) رواه البخاري (١٤١٨) ومسلم (٢٦٢٩) .
(٣) رواه الترمذي (١٩١٦) وأبو داود (٥١٤٧) وابن حبان (٤٤٧) .
(٤) رواه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨) .

رُوي عن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما رجل كانت عنده وليدة[١] فعلّمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »[٢] .

والنبيُّ ﷺ لم يكن يقول الكلام بشكل نظري ، وإنما كانت سيرته سيرة الفعَّال أكثر من سيرة القوّال ، لذلك نجد نماذج عملية تطبيقية لمسألة الحض علىٰ رعاية المرأة واحترامها وحسن تكريمها ، ومن ذلك :

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ (كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ولأبي العاص بن ربيعة ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها)[٣] . هذا مع حفيدته .

وروىٰ البخاري ومسلم عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « فاطمة بضعة مني[٤] وفي رواية أخرىٰ : « شجنة مني » وتمامها : « إنما فاطمة شُجنة مني ، يبسطني ما يبسطها ، ويقبضني ما يقبضها فمن أغضبها أغضبني »[٥] ، هذا مع ابنته رضي الله عنها .

وتروي السيرة الطاهرة أنه صلوات الله عليه كان يقوم لابنته إذا دخلت ويقبّلها ، ويدخل عليها إذا عاد من غزوة أو سفر . . .

وروىٰ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبيُّ ﷺ قبر

---

(١) وليدة : أمَة .
(٢) رواه الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق ، كما في كنز العمال (٤٥٣٩١) .
(٣) رواه البخاري (٥١٦) ومسلم (٥٤٣/ ٤٢ و٤٣) .
(٤) بضعة مني : قطعة مني .
(٥) رواه الحاكم : ٣/ ٤٧٣٤ .

أمه ، فبكىٰ وأبكىٰ من حوله فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، فأستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت »[١] .

حتى مع مرضعته حليمة السعدية ، فقد روىٰ أبو داود عن أبي الطفيل قال : رأيت النبيَّ ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة ، إذ أقبلت امرأة حتىٰ دَنَتْ إلىٰ النبي ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت : من هي ؟ قالوا : هذه أمه التي أرضعته[٢] .

بل وحتىٰ مع خادمة المسجد ، والتي كانت تنظفه وتكنسه ، روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقمُّ المسجد ـ وفي رواية البخاري : لا أراه إلا امرأة ـ فمات ، فسأل النبي ﷺ عنه ، فقالوا : مات ، قال : « أفلا كنتم آذنتموني به ؟ دلوني على قبره ، أو قال : قبرها » ، فأتىٰ قبرها وصلىٰ عليها[٣] .

بل وحتىٰ مع جميع النساء ، وفي ذلك دروس وعبر لا تُعجب المتطعين الذين لا يريدون للإسلام أن يكون دولة قوية ، قال رسول الله ﷺ :

« حبّب إليّ من الدنيا الطيب ، والنساء ، وجُعلت قرة عيني في الصلاة »[٤] .

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٤١) ومسلم (١٠٨/٩٧٦) وأبو داود (٣٢٣٤) والنسائي (٤/ ٩٠) وابن ماجه (١٥٧٢) .
(٢) رواه أبو داود (٥١٤٤) .
(٣) رواه البخاري (٤٥٨) ومسلم (٩٥٦) .
(٤) رواه النسائي (٣٩٣٩) وأحمد (٣/ ١٢٨) وأبو يعلى (٣٤٨٢) والبيهقي في سننه (٧/ ٧٨) .

وفي رواية أبي داود أن رسول الله قال : « إنما النساء شقائق الرجال »[1] .

بعد كل هذه التوصيات النبوية في الأمور المتعلقة بالنساء ، نلتفت إلىٰ جانب آخر من احاديث رسول الله ﷺ لنرىٰ كيف أن النبيَّ ﷺ وضع المرأة إلىٰ جانب الرجل ، واعتبر شخصيتها شخصية مستقلة تماماً :

فلها الحق في أن تشارك في مسائل الدعوة إلىٰ الله ، سواء كان الأمر متعلقاً بالداعي أو المدعو ، روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

قال : « يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف : لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله : لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد : سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً »[2] .

ولها الحق أيضاً في أن تأخذ دور الداعية إلى الإيمان بالله ورسوله ، كما هو دور الرجل في ذلك .

ولها الحق في أمور تتعلق بالأسرة ، وهذا أمر واسع جداً ، من ذلك : أنها تعتبر في البيت الزوجي مسؤولية وراعية ، كما يعتبر الزوج مسؤولاً وراعياً . كما في الحديث النبوي الطويل الذي يرويه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما وفيه : « . . . والرجل راعٍ علىٰ

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٤) .

أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية علىٰ أهل بيت زوجها وهي مسؤولة عنهم »[١] .

ولها الحق الكامل في اختيار شريك حياتها ، ولها الحق في أن ترفض أي رجل يتقدّم لخطبتها فلا تراه مناسباً لها!!

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تنكح الأيّم ـ الثيّب ـ حتى تُستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن »[٢] .

لأن المسألة ليست سهلة وبسيطة ، إنما هي عمر قد يطول ، وخاصة عندما يأتي الأولاد ، فإذا لم يكن لها رأي في اختيار زوجها ، فكيف ستعيش معه ؟!

فبيت الزوجية لا يقوم إلا على أساس الحب والتعاون والمودة ، ولذلك بعد أن حدثت الهجرة إلى المدينة المنورة ، واختلط المهاجرون بالأنصار ، راحت نسوة المهاجرين يتطبّعن ببعض طباع نسوة الأنصار!!

روىٰ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله إن كنا في الجاهلية ما نعدّ للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم ، قال : فبينا أنا في أمرٍ أتأمّره ـ أفكر فيه ـ إذ قالت امرأتي : لو صنعت كذا وكذا!!

قال : فقلت لها : مالك ولما هاهنا فيما تكلُّفُك في أمر أريده ؟ فقالت : عجباً لك يا بن الخطاب ، ما تريد أن تراجع أنت ، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتىٰ يظل يومه غضبان[٣] . .

---

(١) رواه البخاري (٥١٨٨) ومسلم (١٨٢٩) .

(٢) رواه البخاري (٥١٣٦) ومسلم (١٤٢١) .

(٣) رواه البخاري (٥١٩١) ومسلم (١٤٧٩/ ٣٠ و٣١ و٣٤ و٣٥) .

وتروي كتب الشمائل والسيرة كيف كان رسول الله ﷺ يعاون أزواجه في البيت ، حيث يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[1] .

حتى أنه صلوات الله عليه كان يعاون النساء في تربية الأولاد ، وفي تدبير شؤون البيت وفي الإنفاق وإلى ما هنالك .

لكن قد يُقال : إن الرجل يملك زمام المبادرة دائماً ، فبيده مسألة الطلاق ، بحيث إذا كره زوجته طلقها ، بينما هي المظلومة التي لا تستطيع فعل شيء بالمقابل إذا كرهت زوجها ووصلت الحالة بينهما إلىٰ طريق مسدود ! !

الإسلام أعطىٰ الرجل صلاحية الطلاق ، ولكن ضمن شروط قاسية ، وكذلك أعطىٰ المرأة صلاحية حق مفارقة زوجها ، وهو ما يطلق عليه في الفقه الإسلامي (الخلع) والذي يعرفه ابن رشد رحمه الله فيقول :

لما جعل الطلاق بيد الرجل إذا فرك ـ كره ـ المرأة ، جعل الخلع بيد المرأة إذا فركت الرجل[2] وفي هذا دليل واضح على استقلالية شخصية المرأة كما هي شخصية الرجل أيضاً ، روىٰ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة ثابت بن قيس إلىٰ النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ما أنقم علىٰ ثابت في دين ولا خلق ، إلا أنني أخاف الكفر[3] ، فقال رسول الله ﷺ : « فتردين عليه حديقته ؟ » فقالت :

---

(١) رواه أحمد (٦/٤٩) والبخاري (٦٧٦) و(٢٤٩١) وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٢٠) .

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ٢/ ٣٧ .

(٣) أي : أنها بسبب كراهيتها له وعدم الوفاق معه ، فإنها تخاف أن تقصّر في حقه ، =

نعم ، فردت عليه ، وأمره ففارقها »[1] .

كذلك ، فللمرأة الحق الكامل في الذهاب إلى المساجد ، وحضور الجمع والجماعات وشهود مجالس الذكر والعلم ، وممارسة الشعائر كلها ، وقد أوردتُ أمثلة كثيرة من هذا الأمر في كتابي (النساء شقائق الرجال) ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر : كانت النساء يحضرن صلاة الجنازة : روىٰ الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لما توفي سعد بن أبي وقاص أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا بجنازته في المسجد فيصلون عليه ، ففعلوا ، فوُقف به علىٰ حُجرهن يصلين عليه »[2] .

وكنّ يحضرن مع رسول الله ﷺ مناسك الحج ، ففي صحيح مسلم عن أم الحصين رضي الله عنها قالت : « حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ، فرأيته حين رمىٰ جمرة العقبة وانصرف »[3] .

وروىٰ البخاري مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « شكوت إلىٰ رسول الله ﷺ أني أشتكي ، قال : طوفي من وراء الناس وأنت راكبة ، فطفت ورسول الله يصلي إلىٰ جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور »[4] .

وكنّ يحضرن صلاة الفريضة في المسجد ، روىٰ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كن نساء المؤمنات يشهدون مع

= فتحمل وزر ذلك ، وهو ما يساوي : كفران العشير .

(١) رواه البخاري (٥٢٧٥) .

(٢) رواه أحمد (٦/ ٧٩) ومسلم (٩٧٣/ ١٠٠ و١٠١) وأبو داود (٣١٨٩ و٣١٩٠) والترمذي (١٠٣٣) والنسائي (٤/ ٦٨) .

(٣) رواه مسلم (١٢٩٨) .

(٤) رواه البخاري (٤٦٤) ومسلم (١٢٧٦) .

رسول الله ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ، ثم ينقلبن إلىٰ بيوتهن حتىٰ يقضين الصلاة »[1] .

وكنّ يعتكفن في رمضان وفي المسجد ، فقد روىٰ البخاري عن عائشة رضي الله عنها : « أن النبيَّ ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتىٰ توفاه الله ، ثم اعتكف أزواجه من بعده »[2] .

وكنّ يحضرن صلاة وخطبة العيد ، وقد روىٰ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدّرق ـ بالترس ـ والحراب ، فإما سألتُ النبيَّ ﷺ وإما قال : تشتهين تنظرين ؟ قلت : نعم ، فأقامني وراءه ، خدّي علىٰ خده وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة ، حتىٰ إذا مللت قال : حسبك ؟ قلت : نعم ، قال : فاذهبي »[3] .

وروىٰ البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « قام النبيُّ ﷺ يوم الفطر فصلىٰ فبدأ بالصلاة ثم خطب ، فلما فرغ نزل ، فأتىٰ النساء فذكّرهن وهو يتوكأ علىٰ يد بلال ، وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة »[4] .

وهكذا شاركت النساء بالتعلم والتعليم ورواية سنن رسول الله ﷺ للناس ، ولولاهن لضاع قسم كبير من سنن رسول الله ﷺ ، ويكفي أن ننظر في مسند السيدة عائشة رضي الله عنها ؛ لنرىٰ كم لها من الفضل في مسألة حفظ وضبط الأحاديث الشريفة .

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧) ومسلم (٦٤٥/ ٢٣٢) .
(٢) رواه البخاري (٢٠٢٦) .
(٣) رواه البخاري (٩٥٠) ومسلم (٨٩٢) .
(٤) رواه البخاري (٩٦٤) .

وكذلك فلها الحق الكامل في المشاركة في جميع الأمور العامة ، كالأعراس ، والمناسبات والتعازي والاستقبالات والرعاية الصحية والنشاطات السياسية ، واختيار الخليفة أو الأمير أو الحاكم ، حتىٰ في الحروب لها الحق في مشاركة الرجال فيما يناسب طبيعة تكوينها الجسدي والفيزيولوجي : كالتمريض والإسعاف والتموين. . .

كل ذلك ضمن آداب وقوالب وضعها الإسلام ، من أجل ضبط العلاقة بين الرجال والنساء ، لكن ـ وللأسف ـ مع تقادم الزمان وُضعت أمور ما أنزل الله بها من سلطان حيث حرّموا خروج المرأة إلىٰ المسجد ، وحرّموا مخالطتها الرجال! وحرّموا مشورتها وأخذ رأيها حتىٰ لو كان الأمر يختص بها أو بأولادها!

وكل ذلك تحت غطاء الغيرة علىٰ العرض والدين ، ووالله ليس هؤلاء أكثر غيرة من سيدنا رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

إن المرأة في عهد سيدنا رسول الله كانت مستقلة الشخصية إلىٰ حدٍّ أننا إذا قرأنا بعض أخبارهن وفي زماننا المتقدم رأينا العجب العجاب!!

روىٰ الإمام الترمذي أن أم سليم قالت : « يا أنس! اذهب بهذا إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقل : بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول : إن هذا لك منا قليل يا رسول الله. . . »[1] .

أجل : هي مستقلة الشخصية تهدي من تشاء باسمها ، لا باسم أبيها أو أخيها أو زوجها!!

وتلكم (عاتكة بنت زيد) زوجة عمر رضي الله عنه ، يقول لها :

---

(١) رواه الترمذي (٣٢١٨) .

لا تخرجي إلىٰ المسجد! فتحاوره وتناقشه وتحتج عليه بقول رسول الله ﷺ ـ كما في رواية البخاري ـ : « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله »[١] ويسكت عمر ، حتىٰ إذا ما طعن عمر في صلاة الفجر في محراب رسول الله كانت عاتكة في المسجد!! » .

وتلكم ميمونة بنت الحارث تتصرف بكل استقلالية ، فتعتق جاريتها :

روىٰ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن ميمونة بنت الحارث أخبرته أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبيَّ ﷺ ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه ، قالت : أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي ؟ قال : أوفعلت ؟ قالت : نعم ، قال : « أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك »[٢] .

أجل : هذه الاستقلالية في الشخصية ترسمها كتب السنن والسيرة ، وإلىٰ أبعد الحدود ، إلىٰ درجة أن البخاري يروي أن خنساء بنت خدام ـ وكانت ثيباً ـ زوَّجَها أبوها من شاب ، فاشتكت إلىٰ رسول الله كراهيتها له ، فرد نكاحها!![٣] .

وكانت النساء يأتين رسول الله ويشتكين معاملة أزواجهن ، كما في رواية مسلم « أن هند بنت عتبة اشتكت شحّ زوجها أبي سفيان ، فقال لها الرسول ﷺ : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف »[٤] . أي دون علم زوجها!!

---

(١) رواه البخاري (٩٠٠) .
(٢) رواه البخاري (٢٥٩٢) .
(٣) رواه البخاري (٥١٣٨) .
(٤) رواه البخاري (٢٢١١) ومسلم (١٧١٤/٧ و٨) .

أجل!

المنهج النبوي الطاهر يرسم خطوطاً عريضة لشخصية المرأة المسلمة المستقلة، فهي إنسانة لها كرامتها، وهي إنسانة مسؤولة، وهي إنسان لها الحق في اتخاذ القرارات، وهي إنسانة راشدة تمارس حقوقها السياسية والاجتماعية و. . . .

وبهذا نرىٰ التكامل بين حديث القرآن الكريم عن شخصية المسلمة، وبين المنهج النبوي في الحديث عن شخصيتها، كيف لا؟ والقرآن هو الذي يعلم الأجيال:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

نسأل الله أن يجعلنا من الوقافين عند الحدود الشرعية، وأن يبعدنا عن الغلو والإفراط و التفريط، وأن يجعلنا من حملة الفكر الوسطي المعتدل إنه علىٰ ما يشاء قدير.

* * *

الباب الثاني

نماذج نسائية ـ للقدوة ـ في القرآن والسنة

الفصل الأول :

نماذج نسائية ـ للقدوة الحسنة ـ
في القرآن الكريم .

الفصل الثاني :

نماذج نسائية ـ للقدوة الحسنة ـ
في السنة المطهرة .

الفصل الأول

نماذج نسائية ـ للقدوة الحسنة ـ في القرآن الكريم

في القرآن الكريم نماذج جيدة من النساء ، ونماذج سيئة ، والهدف من ذلك لفت الانتباه إلىٰ مسألة أن في النساء كما في الرجال نماذج ونماذج ، وما علىٰ الإنسان إلا أن يأخذ واحداً من النماذج ليسير في الطريق الذي سار عليه .

أما حديث القرآن عن النماذج السيئة ، فتلخص بعدد قليل ، وأهم تلك النماذج :

١ ـ حمّالة الحطب ! !

فعندما جاء الأمر الإلهي إلىٰ رسول الله ﷺ بأن يصدع بالدعوة ، فقد انتهىٰ العهد السري وبدأ العهد العلني ، كما قال تعالىٰ :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤ـ٢١٦] .

وصعد رسول الله جبل الصفا ﷺ ونادىٰ القوم وبلغهم مسألة الدعوة ، فما كان من عمه إلا أن قال له : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ !

ووقتئذٍ كانت (رقية وأم كلثوم) بنتا رسول الله ﷺ متزوجتين من عتبة و عتيبة ابني أبي لهب ، فلما أنزل الله تعالىٰ في أبي لهب وزوجه سورة كاملة :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾

[المسد : ١ـ٥] .

فحلفت أم جميل ـ حمالة الحطب ـ على ابنيها أن يطلقا بنات رسول الله ﷺ ، وراحت تحمل الأشواك والأوساخ وتضعها في طريق رسول الله ﷺ .

ثم أطالت لسانها عليه ، وصارت تشتمه وتهجيه ، من ذلك قولها : مُذمَّماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا . . .

وبقيت علَى هذه الحالة حتى فارقت الدنيا ، فخسرت الدنيا والآخرة ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ ورحم الله الشاعر الأنصاري (الأحوص الدوسي) حينما قال في حقها :

مـا ذات حبـلٍ يـراه النـاس كلُّهـم   وسط الجحيم ولا يخفى علىٰ أحدِ
كلُّ الحبال ، حبال الناس ، شعر   وحبلها وسط أهل النار من مسد

* * *

٢ـ زوجتا نبيّين في النار!!:

عندما تخون المرأة زوجها، خاصة إن كان الأمر يتعلق بالعقيدة والدين ▪ فإن في المسألة شيئاً غير طبيعي، مثال ذلك:

امرأة سيدنا نوح عليه السلام: فبدل أن تقف مع زوجها وهو يكافح ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية من أجل قضية التوحيد، بدل ذلك كله، راحت تقرّب القرابين للأصنام: (ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر).

ورفضت دعوة التوحيد من زوجها، وتصدّت لجهوده الدعوية، وبذلت جهوداً كبيرة لإضلال الناس أكثر.

وذات يوم مرت على المكان الذي يعمل فيه نوح عليه السلام، فرأت عجباً، فسألته عن ذلك، فأجابها: سأصنع سفينة كما أمرني الله تعالىٰ!!

وراحت تنشر بين قومها ـ وباستهزاء ـ أن زوجها يصنع سفينة لتسير في الصحراء!!

وجاء القوم ليروا حقيقة القصة، وأطلقوا عبارات الاستهزاء والسخرية، لكن: ﴿ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ۝٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴾ [هود: ٣٨ـ٣٩].

وكان الطوفان، حيث المياه تتفجر من الأرض وتنزل من السماء، ففزعت زوجة نوح عليه السلام وهرعت إلى قومها الكفرة، ودعاها زوجها إلى الركوب في السفينة، لكنها عاندت واستكبرت مع ابنها كنعان، فكانت النتيجة أن أغرق الله الكفرة ونجّى المؤمنين، لتكون النتيجة خسارة الدنيا والآخرة...

وأما المثال الآخر : فهي زوجة نبيّ الله لوط عليه السلام ، الذي بُعث في قومه الذين اخترعوا قضية ما عرفها الناس في التاريخ ، إنهم كانوا يأتون الفاحشة في ضيفهم علانية وفي مجلسهم!!

وهذا ما عبرّ عنه القرآن الكريم علىٰ لسان نبي الله لوط :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف : ٨٠ـ٨١] .

وأما زوجة لوط ، وقيل اسمها (واعلة ، وقيل : والهة) ، فكانت تقوم بإفشاء سرّ زوجها ، فكانت كلما جاءه أحد الضيوف ، تسرع إلى قومها تخبرهم بذلك .

كما كان لها الدور الكبير في إبعاد الناس عن دعوة الحق ، والاستهزاء بزوجها ودعوته ، وإرباك الواقع الأمني له ولمن آمن معه . . .

وعندما لم يعد أي أمر ينفع معهم ، رفع الأكف إلى الله ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٠] .

وجاءت جنود الله لنصر نبيّه ، فلما دخلوا عليه ، أسرعت زوجه إلى القوم لإبلاغهم بذلك . وهرول القوم يريدون إتيان الفاحشة مع الضيوف ، ونهاهم لوط عليه السلام عن ذلك . . . ، لكن دون جدوى ، فحزن حزناً شديداً ، فقالت له الملائكة :

﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : ٨١] .

وخرج لوط عليه السلام مع الذين آمنوا معه ، بينما كانت نتيجة قرى لوط وقومه وزوجه الدمار والهلاك حيث العذاب الدنيوي ، ثم نار جهنم وبئس المصير .

لكن مقابل هذه النماذج للنساء اللائي خالفن المنهج ، فكانت النتيجة في الدنيا قبل الآخرة عذاباً وخزياً ، مقابل ذلك هناك نماذج قرآنية للنساء اللائي سرن وراء كلمة الحق ، فكانت السعادة في الدنيا والآخرة ، من ذلك :

١ـ زوجة إبراهيم عليه السلام :

نموذج رائع يحمل خلق الإيثار للآخرين ، إنها (سارة) زوجة الخليل إبراهيم ، حيث إنها لم تنجب الولد ، فوهبت لزوجها خادمتها (هاجر) كي يتزوجها من أجل الولد!!

وشاء الله ذلك : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] وهو الذبيح إسماعيل عليه السلام ، لكن هل ترك الله هذا الموقف الرائع يمرّ هكذا دون مكافأة ؟

أبداً ، فعند الله لا يضيع مثقال ذرة ، وذات يوم وهي تخدم ضيفان زوجها ، جاءتها البشرىٰ بأن الله أذن بأن تحمل بالولد!!

لكن يا رب ، لقد بلغت من الكبر عتياً ، لقد تجاوزت سنّ اليأس ، فكيف يكون ذلك ؟ وولدت إسحاق عليه السلام ، وزاد الله في عمرها لتعيش إلى حيث تزوج إسحاق وأنجب يعقوب عليه السلام ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ

﴿عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود : ٦٩ـ٧٣] .

وفي الحكاية عبر ودلائل ، أهمها : مشاركة المرأة زوجها في خدمة الأضياف ، ومشاركتها معه في الهجرة من بلد إلىٰ آخر . . .

٢ـ آسية بنت مزاحم : امرأة فرعون :

مثل آخر ، من أمثلة القرآن ، وفيه القدوة والأسوة حول الثبات علىٰ الإيمان ، وتفضيل ما عند الله على ما عند الناس .

إنها آسية بنت مزاحم ، عاشت في القصر الفرعوني ، حيث العز والنعيم ، والملك و . . . ! !

عاشت في بيئة الظلم الفرعوني ، لكن المشيئة الإلهية أرادت أن تسخر من فرعون ، فعندما أصدر أمره بقتل كل طفل ذكر خوفاً على كرسيه وعرشه ، ساقت العناية الإلهية موسىٰ إلىٰ فرعون ، لتحتضنه زوجته وتريد تربيته :

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص : ٩] .

ودار الزمن دورته ، فأعلنت آسية إيمانها بما جاء به موسىٰ عليه السلام .

وجنّ جنون فرعون ، وأعلن أنه سيقتلها أمام الناس جميعاً ، وصلبها في حرّ الشمس وسلط عليها أشد أنواع العذاب ، لكنها استهزأت ببطشه وسخرت بجبروته ، واتجهت إلىٰ الله الواحد :

﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم : ١١] .

كيف يحدث ذلك ؟ فرعون الذي ينادي أمام الناس : أنا ربكم الأعلىٰ! وزوجه تنادي الله الأعلىٰ أن يخلصها من كذب وزيف فرعون!!

وأمر بحمل صخرة ضخمة وأن ترمىٰ علىٰ جسدها لتحطم عظامها وتهشّم رأسها .

لكن المرأة الواثقة بما عند الله كانت تعطي الأجيال الدروس العملية في الثبات علىٰ الإيمان والصبر علىٰ المحن ؛ لأن هناك الجنة ، وهناك ما فوق الجنة : ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة : ٧٢] وهناك الأعلىٰ وهو رؤية نور وجه الله يوم القيامة . . . فرحم الله آسية ورضي عنها .

٣ـ (رحمة) نموذج الصبر!!

لئن كان المثل يُضرب بصبر أيوب عليه السلام ، فكذلك يجب أن يضرب المثل بصبر زوجه (رحمة) .

أجل ، لقد فقد أيوب عليه السلام الأولاد جميعاً ، وذهب المال كله ، وضعف الجسم وشحب اللون ، وفرّ الأصدقاء والأحباب عنه . . . !!

لكن أيوب كان صابراً ، وإلىٰ جواره (رحمة) الصابرة ، ثم زاد الامتحان صعوبة أكثر ، لقد جاءها الشيطان ووسوس لها : أين شباب زوجك ؟ أين صحته وماله ؟ أين النعيم والرفاه ؟ أين الرفاق و . . . ؟!

وتسلّل هذا الكلام إلىٰ نفسها ، فنقلته إلىٰ زوجها عليه السلام ، فغضب ، وقال : لا بدّ وأنها وسوسات شيطان ، يا رحمة! لقد بقيت في الصحة والرخاء مدة ثمانين عاماً ، فكيف أطلب من الله رفع البلاء ولم يمض عليّ في ذلك إلا بضع سنوات ؟!

ووالله لئن شفاني الله لأضربنك مئة سوط!

وسجد أيوب سجدة طويلة ناجىٰ بها الله وألحّ في ذلك : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] فجاءه الجواب علىٰ عجل :

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾ [صۤ : ٤١ـ٤٢] .

وشاءت عناية الله أن يعود أيوب عليه السلام إلىٰ شبابه وعافيته ، وعادت (رحمة) إلىٰ عافيتها وشبابها ، ليعيشا عيشة السعادة والهناء :

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [صۤ : ٤٣] .

وعلّمه الله كيفية الخروج من قسمه ، وذلك بأن يضربها بحزمة فيها مئة عود ، وذلك لأنها مثالية في الصبر واحتساب الأجر : ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [صۤ : ٤٤] فرحم الله رحمة ورضي عنها .

٤ـ أمّ موسىٰ عليه السلام :

مثال آخر فيه دروس وعبر ، خاصة فيما يتعلّق بالرضا بقضاء الله تعالىٰ ، والاطمئنان بوعده ، والصبر علىٰ كل ما يأتي من الله .

كتب عليها القضاء والقدر أن تعيش في زمن الطاغية فرعون ، وعندما أخبر الكهنة والمنجّمون أن شاباً ذكراً سيكبر في القوم ويقضي علىٰ فرعون ، فأعطىٰ أوامره لجنوده بأن يقتلوا جميع الأطفال الذكور من بني إسرائيل .

وذات ليلة أحسّت (يوكابد ، يوخا) أنها حامل ، فخافت أن يكون الحمل ذكراً!!

وتشاء العناية الإلهية أن تضع ولداً ذكراً وهو موسى عليه السلام ، فكيف ستنقذه من يد جنود فرعون ؟ وكيف تحميه من الموت ؟

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] .

وإذا كان الوعد من الله ، فلا بدّ من التسليم لله ، ولا بدّ من الرضا بقضائه وقدره ، ووضعت وليدها في تابوت وألقته في البحر!!

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ ﴾ [القصص : ٨] .

وبالفعل اختلط في قلبها الحزن مع الشفقة ، والخوف مع الرضا ، فما كان منها إلا اللجوء إلىٰ الله الواحد :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ١٠] .

ووصل التابوت إلىٰ القصر الفرعوني ، وفتحت آسية التابوت ، فسطع نور عظيم من جبين الغلام ، ثم ماذا ؟ ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ [القصص : ١٢] .

فرفض أن يرضع من أي ثدي غير ثدي أمه!! ، فأشارت عليهم أخته أن يعيدوه إلىٰ أمه لترضعه!! ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [القصص : ١٣] .

وصدق وعد الله ، ورضي عن أم موسىٰ وأرضاها .

٥ـ فتاة مدين (صفورة) وقوة فراستها :

نموذج آخر من حديث القرآن الكريم حول مشاركة المرأة الرجال في الأمورالعامة وما إلىٰ هنالك .

إنها ابنة نبيّ الله شعيب عليه السلام ، دخلت عليه ذات يوم ومعها شاب وسيم ، وقالت مخاطبة أباها :

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] .

فقال شعيب عليه السلام : وما أدراك بقوته وأمانته ؟ فقالت : لقد رفع صخرة لم يستطع رفعها عشرة من الشباب ، فهو موسىٰ القوي .

وأما أمانته : فلما جئت معه إلىٰ هنا ، قال لي : سيري خلفي فإني أخاف أن يعبث الهواء بثوبك فأرىٰ ما حرم الله سبحانه!! فما هي بداية الحكاية ؟

عندما هرب موسىٰ عليه السلام من مصر ، ووصل ماء مدين ، وجد علىٰ الماء أناساً كثيرين ، ولاحظ أن القوي وحده هو الذي يستطيع أخذ الماء ، ورأىٰ من القوم فتاتين تقفان علىٰ جنب لا تستطيعان الوصول إلىٰ الماء ، فتقدم منهما وساعدهما :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ [القصص : ٢٣-٢٤] .

وعلىٰ غير عادة ، عادت الفتاتان باكراً ، فاستعجب والدهما ، وسألهما عن السبب ، فأخبرتاه عن شهامة الشاب ومساعدته إياها ، فأرسل ابنته (صفورة) لتناديه :

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص : ٢٥] .

وأكرم الله (صفورة) على حيائها وعفافها بأن كانت زوجاً لنبي من أولي العزم ، و هو موسىٰ عليه السلام .

٦ـ المرأة التي اصطفاها الله تعالىٰ :

في القرآن الكريم تأكيد علىٰ مسألة المساواة بين الرجال والنساء ، حتىٰ في مسألة الاصطفاء ، نرىٰ ذلك لا يخصّ الرجال فقط ، قال تعالىٰ :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

[آل عمران : ٤٢ـ٤٣] .

وهكذا شملتها العناية الإلهية منذ الصغر ، حيث قبلها الله وأبعد عنها الشيطان ، وجعل نشأتها نشأة حسنة ، وأجرىٰ الكرامات علىٰ يديها ، قال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٥ـ٣٧] .

وشاء الله تعالىٰ أن يجري علىٰ يديها الآيات ، ليكون حملها من غير زوج !! :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ

هَيِّنٌ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ
فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ
هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ
مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ
قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ
سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾
قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم : ١٦ـ٣٠] .

وهكذا افترىٰ علىٰ مريم العذراء اليهود ورموها بالفاحشة ، لكن الله طهر ساحتها من فوق سبع سموات :

﴿ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ
مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ [النساء : ١٥٥ـ ١٥٦] .

أجل !

لقد ذكر الله تعالىٰ كل تفصيلات حياة مريم المهمة ، وليس في ذلك أي حرج ، لأن القرآن أكثر من الحديث عن النساء ، وخاصة المواقف التي فيها العبر والدروس .

لكن المهم في المسألة هو اصطفاء الله لمريم ولامرأة فرعون ، وجعلهما نموذجين للاقتداء والتأسي ، وليكون للرجال والنساء في قراءة تراجم حياتهما العبر و. . . ، قال الله تعالىٰ :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ
بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ
ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا
وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم : ١١ـ١٢] .

وهكذا عاشت مريم البتول الحياة مع ولدها نبيّ الله عيسىٰ عليه السلام ، ورأت بعينها القلّة الضعاف الذين آمنوا به ، بينما الكثرة الجاحدة والمستهزئة كانت تعاديه ، لكنها كانت العون له ، فهي التي تحضّه علىٰ التعلق بالله ، وعلىٰ الصبر علىٰ ما يقضي به الله ، وعلىٰ اللجوء الدائم لله سبحانه .

ثم رأت بعينها محاولة قتل اليهود له ، وكيفية رفع الله له ، فكانت بالفعل خير أنموذج للاقتداء والتأسي .

فسلام علىٰ مريم العذراء ، وسلام علىٰ ابنها المسيح عليه السلام .

٧ـ الملكة بلقيس :

نموذج آخر يعرضه القرآن علىٰ الناس ليتخذوا منه الأسوة والقدوة ، إنها (بلقيس) الملكة والتي لها قصة مع نبي الله : الملك سليمان عليه السلام :

حمل الهدهد الخبر إلىٰ ملكه سليمان بوجود قوم في اليمن لهم قصص عجيبة!!

إنهم وملكتهم يسجدون للشمس من دون الله ، فأرسل إليها سليمان بكتاب ، فجمعت كبار وزرائها ومستشاريها وأطلعتهم علىٰ فحوىٰ الكتاب ، وفي هذا دليل واضح علىٰ مدح الله تعالىٰ لهذه الصفة الحميدة عندها ، فهي امرأة حريصة علىٰ الشورىٰ ، وهي امرأة حسنة الإدراك والسياسة ، والاستجابة للحق .

وكان رأي قومها محاربته ، لكنها رأت التفاوض مع سليمان عليه السلام ، واقترحت علىٰ إرسال هدية له ، لترىٰ هل هو ملك أم نبيّ ؟

وأعاد سليمان الهدية وأنذرها بالجيش الجرار الذي سيرسله إليها ، ويشاء الله لها الهداية ، فتصل إلىٰ المفاوضات مع سليمان ، لتنتبه من غفلتها ، وتستجيب لكلمة الحق وتتوب إلىٰ الله تعالىٰ :

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل : ٤٢ـ٤٤] .

والقصة مبسوطة في سورة النمل : /٢٣ـ٤٤/ حيث نرىٰ فيها التفصيل عن حياة الملكة بلقيس ، وعن كيفية تسليط القرآن الكريم علىٰ الجوانب الإيجابية في حسن سياستها في الحياة العامة مع الآخرين ، والتركيز علىٰ جوانب من إبراز شخصيتها ، ليكون في ذلك دروس وعبر .

٨ـ خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها :

من خلال المنهج القرآني في إعطاء الصورة الكاملة عن شخصية المرأة ، يوضح مسألة مطالبة المرأة بحقها والدفاع عن قضاياها المصيرية ، وليس في الأمر أي حرج ، بل علىٰ العكس جاء مدح الله تعالىٰ لهذا الجانب ، فلها الحق في المناقشة والمجادلة ، ولها الحق في إبداء رأي ما والدفاع عنه! ولها الحق في معارضة الرجال! ولها الحق في أخذ كل خصوصياتها و . . . !!

في زمن النبيِّ ﷺ ، اختلفت (خولة بنت ثعلبة) مع زوجها (أوس بن الصامت) رضي الله عنهما فقال لها : أنت عليّ كظهر أمي ، وهذا يسمىٰ في الفقه (الظهار) وكان حكمه في الجاهلية أشد أنواع الطلاق ، حيث لا رجعة فيه أبداً!!

فحزنت (خولة) لتصرف زوجها الذي تحبه ، لكن ماذا تفعل أمام هذا الأمر ؟

انطلقت إلىٰ رسول الله ﷺ تشكو إليه الأمر ، فما كان من النبي إلا أن قال لها : « ما أراك يا خولة إلا قد حرمت عليه ، ولكن ما عندي في أمرك شيء » .

وراحت تجادل رسول الله ﷺ في ذلك : إن لي منه الأولاد والصغار ، فإذا تركتهم إليه ضاعوا ، وإذا ضممتهم إليّ جاعوا ، ثم لم تجد أي نفع في مجادلة رسول الله ، فرفعت الشكوى إلىٰ الله :

اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي وما شقّ عليّ من فراقه ، اللهم أنزل علىٰ لسان نبيّك ما يكون لنا فيه فرج!!

واستجاب الله الدعاء ، فاستدعىٰ رسول الله زوجها وقال : « هل تستطيع عتق رقبة ؟ » قال : لا والله ، فقال : « هل تستطيع الصوم ؟ » فقال : لا والله ، فقال : « هل عندك ما تصدّق به ؟ » قال : لا ، قال : « اذهب إلىٰ أم المنذر بنت قيس ، فخذ منها شطر وسق تمراً ، وتصدّق به علىٰ ستين مسكيناً » وفعل ذلك ، وصارت زوجه حلالاً له ، فرضي الله عنك يا خولة بنت ثعلبة[1] :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ

(١) انظر قصة خولة وزوجها في الدر المنثور (٨/ ٦٩ـ٧٥) .

بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة : ١ـ٤] .

إذاً :

هذه بعض النماذج القرآنية التي جاءت ضمن سياق القرآن الكريم ، وفي الواقع هناك نماذج أخرى لم نتحدث عنها ، كالحديث عن أم البشر حواء ، وعن جميلة بنت يسار زوجة أبي البداح والتي أُنزل فيها آية في سورة الطلاق / ٢٢/ وعن جميلة بنت أبيّ ابن أبي سلول والتي كانت كارهة لزوجها ، فأنزل الله تعالىٰ فيها آية في سورة الطلاق / ٢٩/ .

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، والتي نزلت فيها آية في سورة الممتحنة / ١٠/ تتحدث عن المؤمنات المهاجرات. . .

وعن (كبشة بنت معن بن عاصم) والتي كانت زوج (أبي قبيس بن الأسلت) ، والتي أنزل الله بها تشريع عدم عضل النساء ، وذلك في سورة النساء / ١٩/ .

وعن (أم كجّة الأنصارية) والتي الله بسببها جوانب هامة من مسألة الميراث ، وذلك في سورة النساء/ ١٠/ .

وعن المرأة التي قدّمت أغلىٰ ما تملك أمام رسول الله ﷺ ، إنها (ميمونة بنت الحارث) وهبت نفسها للنبي ، فأكرمها الله تعالىٰ ، وذلك في الأحزاب/ ٥٠/ .

كذلك ، لم نتحدث عن (زليخا) امرأة العزيز والتي راودت نبي الله يوسف عليه السلام . وذلك في سورة يوسف/ ٣٠ـ٣٤/ .

وعن قصة (زينب بنت جحش) رضي الله عنها وزواجها من (زيد) ثم من رسول الله / الأحزاب/ ٣٧/ .

وعن قصة (حادثة الإفك) مع السيدة عائشة رضي الله عنها ، سورة النور / ١٢/ .

وعن قصة المهاجرة الأولىٰ (أسماء بنت عميس) زوجة جعفر بن أبي طالب : / الأحزاب/ ٣٥/ .

كل ذلك يدل وبوضوح علىٰ تركيز القرآن الكريم على تحديد وضبط معالم شخصية المرأة المسلمة ، وليكون في ذلك الدليل الواضح على استقلال شخصيتها . . .

* * *

الفصل الثاني

نماذج نسائية - للقدوة الحسنة - في السنة المطهرة

للأسف الشديد ، فعندما يُطرح موضوع استقلالية شخصية المرأة وأهم المجالات التي تتحرك بها ، يرفع المتنطعون لائحة غاضبة يريدون من خلالها حصر المرأة وسجنها في زنزانة هي البيت ، ويحرجون عليها الخروج إلىٰ العمل أو العلم أو المسجد!!!

والطامة الكبرىٰ أنهم يتسلحون بأحاديث نبوية لا يعرفون مدىٰ صحتها ، أو أنهم لا يفهمون الأحاديث وسبب ورودها!! مما تكون النتيجة على عكس المراد ، ولنضرب بعض الأمثلة مما يُشيعه البعض في هذه الأيام :

حديث : « لا تعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف ، وعلموهن المغزل وسورة النور » وهذا الحديث قال عنه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ما يلي :

موضوع : أخرجه ابن حبان في الضعفاء (٢/ ٣٠٢) ، والخطيب (١٤/ ٢٢٤) ، والبيهقي في (شعب الإيمان) : (٢/ ٤٧٧) ، من طريق محمد الشامي . . عن عائشة مرفوعاً .

وقال البيهقي : وهو بهذا الإسناد منكر! وقال الدارقطني : كذاب!

وقال ابن عدي : عامة أحاديثه غير محفوظة! وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار ، كان يضع الحديث! وقال الذهبي في الميزان : كان محمد يسرق الحديث!

وبالتالي فهو يخالف الأحاديث الصحيحة مثل ما رواه الإمام الشوكاني في نيل الأوطار : ٨/ ١٧٧ عند شرح حديث الشفاء بنت عبد الله قالت : دخل عليّ النبيُّ ﷺ وأنا عند حفصة ، فقال : « ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة ؟ »

وقال الشوكاني : . . . فيه دليل علىٰ جواز تعليم النساء الكتابة ، وأما حديث : « ولا تعلموهن الكتابة . . . » فالنهي عن تعليم الكتابة في هذا الحديث محمول علىٰ من يخشىٰ من تعليمها الفساد[١] .

ومنها حديث : « طاعة المرأة ندامة » .

وفي الواقع هو حديث موضوع : رواه ابن عدي . . عن عنبسة بن عبد الرحمن .

لكن علماء الحديث قالوا عن عنبسة هذا : أنه منكر الحديث : وكان يضع الحديث ، ولا يصح ، عنبسة ليس بشيء ، عثمان لا يحتجّ به . . .[٢] .

ومنها حديث « هلكت الرجال حين أطاعت النساء » .

وهو حديث ضعيف : أخرجه ابن عدي (٣٨/ ١) ، وأبو نعيم في أخبار أصفهان : (٢/ ٣٤) ، والحاكم : (٤/ ٢٩١)[٣] .

---

(١) للتوسع يراجع : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : رقم (٢٠١٧) .
(٢) نفسه : رقم (٤٣٥) .
(٣) نفسه : رقم (٤٣٦) .

ووقائع السيرة الطاهرة تثبت عكس هذا المفهوم ، مثالها : أشارت أم سلمة علىٰ النبي ﷺ يوم الحديبية ، وأخذ برأيها .

ومنها حديث : « لولا النساء لعُبد الله حقاً حقاً » .

موضوع ، أخرجه ابن عدي وقال : هذا حديث منكر ، ولا أعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال أبو حاتم : يترك حديثه ، منكر للحديث ، كان يفسد أباه ، يحدث عنه بالطامات!

وقال ابن معين : كذاب خبيث ، والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات![1] .

ومنها حديث : « شاوروهن وخالفوهن » .

أفاد السخاوي أنه لا أصل له مرفوعاً ، ويروى أنه من قول عمر ، وفي ذلك ضعف أيضاً ، وبالتالي فهو يخالف السنة العملية لرسول الله ﷺ .

ومنها حديث : « أعدىٰ عدوك زوجتك التي تضاجعك ، وما ملكت يمينك » .

ضعيف ذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٩٣٤) وعزاه إلىٰ مسند الفردوس للديلمي .

وكم يستمسك بعض الوعاظ بأمثال هذه الأحاديث ، وهي لاترقىٰ إلىٰ أدنىٰ درجة من الصحة ، فهذا الأمر مسؤولية من ؟!

والمستشرقون والأعداء الذين يتربّصون بالإسلام الدوائر ، يأخذونا أمثال هذه الأحاديث ، ثم يطنطنون بها ، ويقولون للناس : تعالوا

---

(١) نفسه : رقم (٥٦) .

فانظروا إلىٰ الدين الإسلامي كيف ينظر إلىٰ المرأة ، وكيف عاملها و . . . !!

أيضاً ، هناك طائفة من الأحاديث الصحيحة ، لكن أخذها البعض وفهموها علىٰ عكس المراد ، فأعطت نتائج عكسية ، ومن أمثال ذلك :

ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحىٰ أو فطر إلىٰ المصلىٰ فمرّ علىٰ النساء ، فقال : « يا معشر النساء ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن » .

قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلىٰ .

قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصّل ولم تصم ؟ قلن : بلىٰ ، قال : فذلك من نقصان دينها »[(١)] .

والمشكلة أن البعض أخذ كلمة (ناقصات عقل ودين) فقط ، وراح يصول ويجول ، مدّعياً أنه اكتشف أمراً أو ممسكاً يمسكه علىٰ الإسلام!!

لكنه منطق الشيطان إذ قال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ [الماعون : ٤] وسكت عن الباقي ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : ٥] .

ولو تأملنا الحديث النبوي الصحيح لوجدنا أن الرسول ﷺ يقرر شيئاً آخر : إنكن أيها النساء ، وعلىٰ الرغم من الحالات التي تمرّ بها

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم ، وللتوسع يراجع : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : ١/٤٢١ ، والجامع الصحيح للإمام مسلم : ١/٦١ .

إحداكن ، من حمل وولادة وإرضاع ودورة شهرية و...!! فإنكن تغلبن ذوي العقول الراجحة ، فاتقين الله في ذلك .

وأما مسألة شهادة المرأة ففي ذلك أقوال كثيرة ، من ذلك قول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ : (قال شيخنا ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ : ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فيه دليل علىٰ استشهاد امرأتين مكان رجل إنما هو لإذكار إحداهما الأخرىٰ إذا ضلّت ، وهذا إنما يكون فيما فيه الضلال في العادة ، وهو النسيان وعدم الضبط ، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار النبي ﷺ حيث قال : « وأما نقصان عقلهن : فشهادة امرأتين بشهادة الرجل » فبين أن شطر شهادتهن إنما هو لضعف العقل لا لضعف الدين ، فعلم بذلك أن عدل النساء بمنزلة عدل الرجل ، وإنما عقلها ينقص عنه ، فما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال في العادة لم تكن فيه علىٰ نصف الرجل ، وما تقبل فيه شهادتهن منفردات : إنما هي أشياء تراها بعينها ، أو تلمسها بيدها ، أو تسمعها بأذنها من غير توقف علىٰ عقل ، كالولادة والاستهلال ، والإرضاع ، والحيض ، والعيوب تحت الثياب ، فإن مثل هذا لا ينسىٰ في العادة ولا تحتاج معرفته إلىٰ إعمال عقل ، كمعاني الأقوال التي تسمعها من الإقرار بالدَّين وغيره فإن هذه معان معقولة ، ويطول العهد بها في الجملة)[1] .

وقبله رأىٰ ابن حزم رحمه الله تعالىٰ أمثال ذلك ، قال في المحلّىٰ :

(ولا يجوز أن يقبل في الزنى أقل من أربعة رجال عدول مسلمين أو

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : ١٦١_١٦٢ .

مكان رجل امرأتان مسلمتان عدلتان فيكون ذلك ثلاثة رجال وامرأتين أو رجلين وأربع نسوة أو رجلاً واحداً وست نسوة أو ثماني نسوة فقط ، ولا يقبل في سائر الحقوق كلها من الحدود والدماء وما فيه القصاص والنكاح والطلاق والرجعة والأموال إلا رجلان مسلمان عدلان أو رجل وامرأتان كذلك أوأربع نسوة كذلك ويقبل في كل ذلك حاشا الحدود رجل واحد عدل أو امرأتان كذلك مع يمين الطالب ، ويقبل في الرضاع وحده امرأة واحدة عدلة أو رجل واحد عدل)[1] .

وقال العلامة ابن رشد رحمه الله تعالىٰ : (فالذي عليه الجمهور أنه لا تقبل شهادة النساء في الحدود ، وقال أهل الظاهر : تقبل إذا كان معهن رجل وكان النساء أكثر من واحدة في كل شيء علىٰ ظاهر الآية .

وقال أبو حنيفة : تقبل في الأموال وفيما عدا الحدود من أحكام الأبدان مثل الطلاق والرجعة والنكاح والعتق ، ولا تقبل عند مالك في حكم من أحكام البدن .

وأما شهادة النساء مفردات ، أعني النساء دون الرجال فهي مقبولة عند الجمهور في حقوق الأبدان التي لا يطلع عليه الرجال غالباً ، مثل الولادة والاستهلال وعيوب النساء ، ولا خلاف في شيء من هذا إلا في الإرضاع)[2] .

وهناك شيء آخر ، قال العلماء رحمهم الله تعالىٰ :

نقص العقل والدين في النساء هو أمر عام ، وهذا لا يمنع وجود البعض منهن متفوقات في كثير من أمور الحياة . والقرآن تحدث ـ كما

---

(١) المحلىٰ : ٩/٣٩٦ .

(٢) بداية المجتهد : ٢/٣٤٨ .

رأينا ـ عن بلقيس وزوجة فرعون و. . . . ، كأمثلة علىٰ امتلاكهن قدرات عالية ، ولربما خارقة في مسائل الثبات والمشورة والحكم وسياسة المجتمع حتىٰ الرجال منه!!

وهذا يدل على جواز تفضيل بعض النساء علىٰ كثير من الرجال ، ورحم الله ابن تيمية عندما قال : فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص ، فربَّ حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش!!

ويقول : فهذا الأصل يوجب أن يكون جنس الحاضر أفضل من جنس البادية ، وإن كان بعض أعيان البادية أفضل من أكثر الحاضرة) .[1]

كذلك ، فقد يكون النقص في جانب ما عند المرأة ، كالجانب العضلي ، بالنسبة إلىٰ الرجل ، لكن يقابله نقص عند الرجل في جانب ما ، مثل تربية الأطفال ، بالنسبة إلىٰ المرأة .

وهكذا ، قد يتفوّق الرجل في الأمور التي تتطلب الاستدلال كالحساب والرياضيات والتخيّل و. . وتتفوّق المرأة في الأمور التي تتطلب الحفظ عن ظهر قلب وما إلىٰ هنالك ، فلكل واحد دور يناسبه في هذا الكون ، وهذه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠] وإلا لو كان الجنس البشري كله ـ رجالاً ونساءً ـ يتصف بما يتصف به الرجال ، فمن الذي يصبر على الأمور التي تتحملها النساء ؟ وخاصة فيما يتعلق بشؤون رعاية الأطفال وتربيتهم . . .

أجل! لقد كوّن الله جسم المرأة على نحو يتلاءم ووظيفة الأمومة تلاؤماً كاملاً ، وجُهزت المرأة لتكون ربة البيت ، وهذا مالا نراه في الرجل ، كما قال الأستاذ عباس العقاد رحمه الله :

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : ١٦٤ـ١٦٥ .

ومن الطبيعي أن يكون للمرأة تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل ، لأن ملازمة الطفل الوليد لا تنتهي بمناولة الثدي وإرضاعه ، بل لا بد معها من تعهد دائم ومجاوبة شعورية تستدعي شيئاً كثيراً من التناسب بين مزاجها ومزاجه ، وبين فهمها وفهمه ومدارج حسّه وعطفه ، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيراً في أطوار حياتها ، ومن صباها الباكر إلى شيخوختها العالية ، فلا تخلو من مشابهة للطفل في الرضا والغضب ، وفي التدليل والمجافاة ، وفي حب الولاية والحدب ممن يعاملها ، ولو كان في مثل سنّها أو سنّ أبنائها ، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة أو تتركه باختيارها ، إذا كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية ، ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحسّ والاستجابة للعاطفة ، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة. . .

أيضاً ، استغلّ البعض حديث رسول الله الصحيح ، ليعلقوا تعليقات لا أصل لها ، فقالوا : الإسلام يعتبر المرأة ضلعاً قاصراً ، ويتهمها اتهامات شنيعة ، فما هي الحقيقة في ذلك ؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء »[1] .

---

(١) صحيح مسلم : ١٧٨/٤ ، وللتوسع في شرح الحديث يراجع : فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ١٧٧/٧ .

قال شرّاح الحديث وعلماء الشريعة الإسلامية :

في هذا الحديث رفع لمكانة المرأة ، لا اتهام لها ، فالرسول ﷺ أوصىٰ الرجال بالنساء ، بل لعلّ الملاحظة القوية : أنه عليه الصلاة والسلام بدأ الحديث بذلك ، وختمه بذلك أيضاً . وهو من باب التأكيد علىٰ معاملة المرأة معاملة حسنة ، لا لأنها الضعيفة و . . . ، إنما لأنها أكثر وأسرع انفعالاً ، وذلك نتيجة خلق لها بما يلائم عملها من حنانٍ علىٰ الأولاد ، وصبر علىٰ الاستيقاظ ليلاً ولعدة مرات و . . . ! !

لكن ـ وللأسف ـ يشارك كثير من المسلمين وخاصة الوّعاظ في مسألة تكريس فكرة اتهام الإسلام بالنظرة الدونية إلىٰ المرأة ، وذلك عن طريق بث مسألة أن المرأة خلقت من ضلع الرجل الأعوج ! ! !

ومثله حديث رسول الله ﷺ والذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه قول رسول الله : « إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها من النساء . قالوا : بم يا رسول الله ؟

قال : بكفرهن .

قيل : يكفرن بالله ؟

قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلىٰ إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط »[(١)] .

وفي هذا الحديث أيضاً أهداف رائعة ، لكن البعض أساء فهم الحديث ، فقلب الصورة ، ليعطي المعنىٰ المعاكس ! !

ليس القصد من الحديث هنا : أن غالبية أهل النار من النساء لأنهن

---

(١) صحيح مسلم : ٣/ ٣٤ .

نساء!! أبداً ، فشبيه ذلك حديث رسول الله الذي رواه البخاري : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » فهم لم يدخلوا الجنة لأنهم فقراء فقط ، إنما عدم امتلاكهم الأموال وزخارف الدنيا خفف من استغراقهم في المعاصي ، وبالتالي كانوا أكثر سكان الجنة ، لأن الأغنياء أنفقوا ـ غالبيتهم وليس كلهم ـ أموالهم هنا وهناك ، وسيقفون للسؤال الدقيق عن المال : من أين ؟ وإلىٰ أين ؟!

وهنا : فالنساء ، لأن بعضهن لا يشكرن ، وبعضهن يبخلن ، وبعضهن يفشين الأسرار ، وبعضهن لا يحملن للأزواج ودّاً فيكفرن العشرة والجميل ، لذلك فهن أكثر أهل النار .

من زاوية أخرى ، فهذا الكلام يفيد شيئاً آخر ، هو تحذير المصطفى ﷺ النساء من الأمور التي توصل إلىٰ نار جهنم ، ولعل هذا من باب الإغلاظ في النصح والترهيب من عواقب الأمور ، ولذلك جاء في السنة ما يفيد أن تكثر النساء من الصدقة والاستغفار ، حتى يتجنبن ما يؤدي إلىٰ نار جهنم . . .

وما أكثر الأحاديث النبوية الشريفة التي أساء البعض ـ عن عمد أو قلّة دراية ـ فهمها ففسروها كما فهموها ، فأتت بنتائج عكسية .

* * *

وأما النماذج النسائية للقدوة الصالحة في السنة المطهرة ، فذلك أمر يطول الحديث فيه ، حيث إن رسول الله ﷺ يتحدث عن وقوفها إلىٰ جوار الرجل ، بل لقد سبقته في كثير من ميادين العمل الصالح ، وتحدث عن مشاركتها له في العلم والعمل والعبادات والاحتفالات والنشاطات السياسية والاجتماعية ومداواة الجرحىٰ وسقاية العطشىٰ في المعارك ، وكذلك في الأسرة و . . . .

وبيّن الرسول ﷺ جانباً مهماً في قوة شخصية المرأة خاصة فيما يتعلق بحقوقها وواجباتها ، فهي راوية لأحاديث رسول الله ، وهي ناقلة للسيرة والتاريخ الأول ، وهي مفسرة للقرآن الكريم ، وهي مداوية ومجاهدة ، وهي مهاجرة ومبايعة وافدة. . . .

لذلك فلنتوقف عند بعض النماذج التي تضيء الطريق ، عسىٰ أن نكون مثل قول الشاعر :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

ففي مجال استقلال شخصيتها وبالتالي مشاركتها الرجال في الحروب ، وذلك لتقوم علىٰ تفقد الجرحىٰ ومداواتهم وتشجيعهم ، وبهذا يبرز دورها الإيجابي ، ويدل على قدرتها على المشاركة في مسائل خطيرة لتحمل المسؤولية وركوب الصعاب ، وبالتالي فعلىٰ الذين يتهمون المرأة بالنقص والخوف والضعف أن يلتفتوا إلىٰ أمثال هذه الأحداث ، بحيث لا يمكن أن يكون الضعيف حارساً في المعركة ، ولا يمكن للخائف أن يدخل معمعة السلاح ليستخرج من قلب المعركة الجرحىٰ ويسقي العطشىٰ ويمرض المرضىٰ ، بل لن يستطيع الضعيف الخائف أن يشارك في قتل الرجال الأشداء!!

تلكم (سمية زوجة ياسر) أم عمار رضي الله عنهم جميعاً ، استطاعت أن تتحدىٰ فرعون هذه الأمة أبا جهل) . حيث العذاب والغلظة ، وحيث الرمال الملتهبة في صحراء الجزيرة العربية وقد أمر بربط أيديهم وأقدامهم. . . ، ولكن أين ضعفك وخوفك ونقصك ياسمية ؟!

لقد أصبحت قوية وعزيزة ، وذلك عندما مرّ الرسول ﷺ عليهم وهم

في العذاب فقال لهم : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة »[1] .

ويكفي المرأة كمالاً أن تكون أول من دخلت في الإسلام امرأة ، وهي السيدة خديجة الكبرىٰ ، وأول من استشهد في سبيل نصرة الإسلام هي امرأة ، وهي السيدة سمية رضي الله عنهن جميعاً .

ولذلك عندما قُتل أبو جهل في معركة بدر ، نادىٰ رسول الله ﷺ عمار وقال له : « يا عمار : قتل الله قاتل أمك »[2] . فرضي الله عنها وأرضاها .

وتلكم الصحابية الجليلة (نسيبة بنت كعب : أم عمارة) :

والتي أسلمت منذ البدايات ، وحضرت بيعة العقبة الثانية ، حيث شاركت مع سبعين رجلاً في تلكم البيعة!

وليست مسألة البيعة وقتها أمراً ترفياً ، إنما في المسألة الخطورة كلها ، ونلمح ذلك في قول رسول الله ﷺ في البيعة : « أنتم مني ، وأنا منكم ، أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم ، الدم الدم ، والهدم الهدم »[3] .

فأين النقص والخوف والضعف عندها ؟!

وفي غزوة أحد وقفت (أم عمارة) أمام رسول الله ﷺ تتلقىٰ النبل دون رسول الله ، حتى أنه قال : « ما التفتّ يميناً ولا شمالاً إلا ورأيتها تدافع عني »[4] .

---

(١) انظره في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٣) وطبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٩ـ٤١٠) .
(٢) الإصابة (٤/ ٣٢٧) .
(٣) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ٩٢) .
(٤) الإصابة (٤/ ٤٥٧) وطبقات ابن سعد (٤/ ٤١٥) .

وأصيبت بثلاثة عشر جرحاً ، ثم لما رأت أحد صناديد قريش يرعد ويجول ويصول ويقول : دلوني على محمد ، لا نجوت إن نجا!! وقفت في طريقه تريد منعه من الوصول إلىٰ الرسول ، فضربها ضربة قوية فقطعت يدها ، وبعد أن عادت إلىٰ قوتها وخف نزيف دمها عادت إلىٰ المعركة واشتركت في قتل (ابن قميئة) .

وبقيت في حال الدفاع عن رسول الله مع زوجها وابنها ، ولما رأىٰ الرسول جرحها علىٰ عاتقها قال لابنها : « أمك : اعصب جرحها! اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة »[١] .

وفي زمن الخليفة أبي بكر رضي الله عنه اشتركت في معركة اليمامة ، وأبلت بلاءً عظيماً ، ولما بلغها أن مسيلمة قد قتل ولدها (حبيب بن زيد) أقسمت بالله أنها لن تغسل شعرها حتىٰ تقتل مسيلمة! وشاء الله أن تشارك مع ابنها (عبدالله) في قتل مسيلمة الكذاب!!

أليس في هذا النموذج الدلالة الواضحة علىٰ مدىٰ استقلالية شخصية المرأة ومدىٰ مشاركتها في الأمور العامة ، بل وأخطر الأمور وهي المعارك ؟!

وتلكم الصحابية (**هند بنت عمرو بن حرام**) :

زوجة عمرو بن الجموح رضي الله عنهم ، اشتركت في غزوة أحد ، فاستشهد زوجها ، وولدها خلاّد ، وأخوها عبد الله ، فلم تجزع ولم تتنحّ ، إنما ضبطت أعصابها ونظرت إلىٰ ما هو أهم من ذلك ، نظرت إلىٰ أحد الشجعان فقالت له : ماذا فعل الرسول ؟

---

(١) المغازي للواقدي (١/ ٢٧٣) وطبقات ابن سعد (٨/ ٤١٥) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨١) والسيرة الحلبية (٢/ ٥٠٩) .

قال : هو بخير ، فقالت : كل مصيبة بعد رسول الله جَلَل!!

ولما رأت نور وجه رسول الله فرحت وقالت : يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني معهم[(١)]!!!

أي امرأة هذه أنت ياهند ؟!! إنها شهدت دفن زوجها وابنها وأخيها ، ومع ذلك تطلب من رسول الله أن يدعو الله أن يجعلها معهم!!

أو يستطيع عاقل أن يقول إن في أمثال هذه المرأة ضعفاً أو نقصاً أو خوفاً ؟!!

وتلكم (**أم حبيب بنت العاص**) الصحابية القرشية :

تحدثنا سيرة حياتها ، أنها لما حضرت معركة اليرموك ، نظرت فرأت الرجال قد انهزموا في أول الأمر ، وكادت المعركة تكون لصالح الروم ، فحملت عمود الخباء في وجوه الرجال الفارين ، وراحت تقول :

قبّح الله رجلاً يفرّ عن حليلته!

قبّح الله رجلاً يفرّ عن كريمته!

وبالفعل انتبه المسلمون إلىٰ ما تقول (أم حبيب) ، وتجمعت أرتالهم ، وانقضوا انقضاضة رجل واحد ، وكتب الله النصر للمسلمين .

إن دور المرأة كان المشاركة في المعارك ، كان الوقوف إلىٰ جانب الرجال حتىٰ في أحلك الظروف ، فهل في هذا أدنىٰ شك علىٰ استقلالية شخصية المرأة ؟!

---

(١) المغازي (١/ ٢٦٥ـ٢٦٦) وأسد الغابة (٤/ ٩٤) والبداية والنهاية (٤/ ٤٣ـ٤٤) والسيرة الحلبية (٢/ ٢٥٨) .

وتلكم الصحابية الجليلة (**حمنة بنت جحش**) رضي الله عنها :

أخت أم المؤمنين زينب ، كانت زوجة (مصعب بن عمير) ، فلما كانت معركة أحد ، خرجت مع المسلمين للقتال ، وقد حدّث المؤرخون أنها أبلت بلاءً لا مثيل له!

لقد كانت تغشىٰ المعركة فتحمل الجريح والدماء تسيل منه ، وتوصله إلىٰ خارج ساحة المعركة ، وتعطيه ماء الشرب ، وتضمد جراحه ، ثم تعود إلىٰ الجريح الآخر ، وبسبب ذلك فقد تعرّضت لأكثر من طعنة وضربة .

وفي نهاية المعركة رأت بأم عينيها استشهاد زوجها (مصعب) ، فرضيت بقضاء الله وقدره ، واحتسبت ذلك عند الله ، فعوّضها الله بزوج آخر هو (طلحة بن عبد الله) وهو أحد المبشرين بالجنة ، وهكذا شاء الله أن تحضر مع رسول الله ﷺ أكثر الغزوات ، حتىٰ في خيبر فقد أبلت بلاءً شديداً .

فهل في ذلك أدنىٰ شك علىٰ أن المرأة في صدر الإسلام عاشت مستقلة الشخصية وشاركت الرجال في جميع المواقع ، حتىٰ الخطيرة منها ؟!

وتلكم الصحابة الجليلة (**أم حرام بنت ملحان**) زوجة (عبادة بن الصامت) رضي الله عنهم جميعاً :

دخل عليها رسول الله ﷺ ذات يوم ، فأطعمته ، فاستلقىٰ فنام قليلاً ، ثم استيقظ وهو يضحك ، فسألته عن سبب ضحكه ، فقال :

« عُرض عليّ أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك علىٰ الأسّرة ».

قالت : فقلت : يا رسول الله : ادع الله أن يجعلني منهم ، ثم نام ، فاستيقظ وهو يضحك ، فقلت : يا رسول الله : ما يضحكك ؟

فقال : « عُرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك علىٰ الأسّرة ».

قلت : يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « أنت من الأوّلين »[1] .

أرأيت إلىٰ أمنية هذه المرأة المسلمة ؟

إنها لم تحلم بالقصور الفخمة أو السيارات الفارهة أو الأرصدة في بنوك عربية أو أجنبية!! إنما كانت أمنيتها وأحلامها تدور حول الاشتراك في معركة بعيدة علّها تكون من الشهداء .

وشاء الله سبحانه أن يحقق أمنيتها ورغبتها ، فلما كان عهد معاوية بن أبي سفيان ، وهو أمير الشام زمن خلافة عثمان ، خرجت مع زوجها (عبادة) وركبت البحر ، ولما وصل الجيش الإسلامي إلىٰ جزيرة قبرص استشهدت السيدة (أم حرام) ودفنت هناك ، وما زال قبرها في قبرص شاهداً على مدىٰ استقلالية المرأة المسلمة ومدىٰ مشاركتها الرجال في الأمور العامة ، فرضي الله عنها وأرضاها .

أجل :

لقد وقفت المرأة المسلمة تداوي الجرحىٰ وتواسيهم ، وتشدّ علىٰ أيدي المجاهدين ، ولقد سطر التاريخ صفحات بيضاء عن إحدىٰ الصحابيات واسمها (رُفيدة الأنصارية) حيث كانت لها خيمة في المسجد بهدف مداواة الجرحىٰ .

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٩) ومسلم (١٩١٢) .

ويروي ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ، وابن هشام في السيرة أن سعد بن معاذ رضي الله عنه لما أصيب في غزوة الخندق ، قال الرسول ﷺ للصحب الكرام : « اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتىٰ أعودَه من قريب »[1] .

وبقي هذا الأمر لرفيدة علماً ومنارةً في سجلات البطولات ، ورحم الله الشاعر أحمد محرم عندما قال :

رفيدة : علّمي الناس الحنانا   وزيدي قومك العالين شانا
خذي الجرحىٰ إليك فأكرميهم   وطوفي حولهم آناً فآنا
وإن هجع النيام فلا تنامي   عن الصوت المردد حيث كانا

ومثلها في ذلك الصحابية الجليلة (الربيع بنت معوذ) رضي الله عنها :

والتي روىٰ عنها البخاري وغيره أنها قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، ونسقي القوم ، ونخدمهم ، ونرد القتلىٰ والجرحىٰ إلىٰ المدينة .

ولقد حضرت بيعة الرضوان ، والتي عاهد فيها القلّة رسول الله ﷺ علىٰ الموت ، وكانوا بحقٍّ صادقين في ذلكم العهد ، لذلك نالوا الأوسمة القرآنية الرائعة ، من ذلك قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] .

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣١٥ـ٣١٦) .

أفليست في ذلك أدلة ناصعة علىٰ مدىٰ مساهمة المسلمة في الأمور العامة ؟!

وتلكم الصحابية الجليلة (**أم زياد الأشجعية**) رضي الله عنها :

اشتركت في غزوة خيبر مع بعض النسوة ، فما رآهن الرسول ﷺ سألهنّ عن سبب خروجهن ، فقلن : يا رسول الله! لقد خرجنا مع الرجال : نداوي به الجرحىٰ ، ونناول السهام ، ونسقي السقاء ، ونغزل الشَّعر ، ونُعين في سبيل الله!!

ولما فتح الله خيبر ، قسم رسول الله ﷺ لهن من التمر وغيره كما قسم للرجال .

وتلكم الصحابية الجليلة (**أم سنان الأسلمية**) رضي الله عنها :

لما كانت غزوة خيبر ، جاءت إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله! أخرج معك إلىٰ القتال ؟ فقال : ولم ؟ قالت : أخرزُ السِّقاء ، وأداوي المريض والجريح إن كانت جراح ، وأُبصر الرَّحل .

فقال رسول الله ﷺ : « اخرجي على بركة الله ، فإن لك صواحبَ قد كلّمنني وأذنتُ لهن من قومك ، ومن غيرهم ، فإن شئت فمع قومك ، وإن شئت معنا » فقالت أم سنان : بل معك يا رسول الله .

فقال : « فكوني مع زوجتي أم سلمة »(١) .

أجل : لقد بايعت المرأة علىٰ أشد الأمور قسوةً ، كما بايع الرجال الأوائل ، وبذلك ضربت المرأة المسلمة أروع الأمثلة علىٰ المشاركة وعلىٰ استقلالية الشخصية .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .

وتلكم الصحابية (أميمة بنت رقيقة) رضي الله عنها :

يذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة وغيره قول (أميمة) رضي الله عنها :

أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار ، فقلنا : نبايعك يا رسول الله ، علىٰ ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف .

فقال الرسول صلوات الله عليه : فيما استطعتُن وأطَقتُن .

فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا .

وبايعت النسوة رسول الله ﷺ علىٰ هذه الأمور ، وفي ذلك الدليل الواضح علىٰ مدىٰ استقلالية المرأة ومشاركتها في كثير من المجالات العامة[1] .

وتلكم الصحابية (أم رعلة القشيرية) رضي الله عنها ، لها قصة عجيبة يرويها ابن حجر في الإصابة ، وابن الأثير في أسد الغابة وغيرهما ، وملخصها :

أن (أم رعلة) دخلت علىٰ رسول الله ﷺ ، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، ورحمة الله وبركاته ، إنا ذوات الخدور ، ومحلّ أُزُر البُعُول ، ومربيات الأولاد ، ولا حظّ لنا في الجيش ، فعلّمنا شيئاً يقربنا إلىٰ الله عز وجل .

فقال عليه الصلاة والسلام : « عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وخفض الصوت » .

(١) الإصابة (٤/ ٢٤٠) .

فقالت : يا رسول الله : إني مقيّنة[1] ، أقيّن النساء وأزينهن لأزواجهن ، فهل هو حُوبٌ[2] فأثبّط عنه ـ أتركه ـ ؟

فقال رسول الله : « يا أم علة! قينّيهن ، وزينهنّ إذا كسدن »[3] .

وتلكم الصحابية الجليلة (أسماء بنت يزيد بن السكن) رضي الله عنها :

وفدت إلىٰ رسول الله ﷺ وهو في مسجده بين أصحابه ، فوقفت وقالت : يا رسول الله! أنا وافدة النساء إليك! إن الله عز وجل بعثك إلىٰ الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلٰهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات . قواعد بيوتكم ، ومقضىٰ شهواتكم ، وحاملات أولادكم!

وإنكم ـ معشر الرجال ـ فُضلتم علينا في الجُمع والجماعات ، وعيادة المرضىٰ ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو مجاهداً ، حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربيّنا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم في هذا الأجر ؟!

فالتفت النبي ﷺ إلىٰ أصحابه بوجهه كله ثم قال : « هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها في أمر دينها من هذه ؟ »

فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلىٰ مثل هذا!!

فقال لها رسول الله : « افهمي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء ، أن حُسن تبعّل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها

---

(١) أي تعمل في مجال تزيين النساء ، وهو ما يطلق عليه اليوم : (كوافيرة) .
(٢) أي : إثم ، وفي ذلك يقول تعالىٰ ﴿إنه كان حوباً كبيراً﴾ .
(٣) الإصابة (٤/ ٤٤٩ـ٤٥٠) .

موافقته يعدل ذلك كله » فانصرفت وهي تهلّل[1] .

أي موقف رائعٍ هو هذا الموقف الشجاع ، حيث وقفت أمام الصحابة وأمام رسول الله ﷺ . وراحت تطالب بحقها وحق النساء ، وتطلب ما قد يتصوره الرجال حكراً عليهم!!

ودار الزمن دورته ، لتكون معركة اليرموك ، فما كان منها إلا أن حملت خباءها ، وقتلت به تسعة من الروم ، فرضي الله عنها وأرضاها .

. . . وفي التاريخ الإسلامي وكتب السيرة والتراجم نماذج كثيرة عن أمثال هذه النساء ، وفيها الأدلة الواضحة علىٰ مدىٰ استقلالية المرأة ومدىٰ مشاركتها في الحياة العملية[2] .

وأما في مجال رواية الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية والأحداث التي جرت في العهد الأول ، فيكفي أن نقرأ في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن كمية الأحاديث النبوية التي روتها السيدة عائشة رضي الله عنها ، وكذلك فاطمة بنت أسد ، وأم معبد الخزاعية ، وسائر أمهات المؤمنين ، والشفاء بنت عبد الله ، وغيرهن كثير .

بل إن بعضهن كالسيدة عائشة كانت تردّ بعض الفتاوىٰ التي صدرت عن كبار الصحابة ، وقد جمع الإمام الزركشي ذلك في كتابه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة علىٰ الصحابة) ، وهذا يدل علىٰ حرص

---

(١) الاستيعاب (٤/٢٣٣) وأسد الغابة (٥/٣٩٨ـ٣٩٩) والسيرة الحلبية (١/١٤٩) .

(٢) للتوسع يراجع : سير أعلام النبلاء للذهبي ، الإصابة لابن حجر العسقلاني ، الاستيعاب لابن عبد البر ، تاريخ الطبري ، سيرة ابن هشام ، الطبقات لابن سعد ، النساء شقائق الرجال للمؤلف .

المرأة المسلمة علىٰ العلم والتعلم ، وعلىٰ مدىٰ ثقة العلماء وخاصة علماء الجرح والتعديل في الأخذ عن النساء المسلمات ، وهذا يؤكدّ بوضوح علىٰ الأمانة والضبط العلمي عند المرأة .

وكذلك ، ففي مجال الهجرة من بلاد الكفر إلىٰ الحبشة ثم إلىٰ المدينة المنورة وتحمّل الصعاب في الطريق وما إلىٰ هنالك ، فقد سطر التاريخ صفحات ناصعة جمعت بين الرجال والنساء في كفة واحدة ، ومن أمثال هؤلاء :

فاطمة بنت قيس ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأم سلمة ، وأسماء بنت عميس ، وليلىٰ بنت أبي حثمة ، وغيرهن كثير .

وفي مجال حضانة الأطفال وتربيتهم علىٰ ما يرضي الله ويرضي رسول الله ﷺ برزت نماذج رائعة ، لو تصفحنا تاريخهن لسمعته ينطق بأفصح لغة وبيان ، في أنَّ المرأة المسلمة نجحت نجاحاً باهراً في مجال التربية ، ومن أمثلة ذلك :

حليمة السعدية ، والشيماء بنت الحارث ، وأم أيمن ، وأم هانىء ، ولبابة بنت الحارث ، وأروىٰ بنت عبد المطلب ، وغيرهن كثير .

أجل :

لقد طالبت المرأة رسول الله ﷺ بأن يجعل لها ولمثيلاتها أياماً يتعلّمن فيه الحديث والفقه والتفسير وأمور الدين والدنيا ومزيداً من العلوم ، ورفضت المرأة المسلمة الزوج الذي اختاره لها والدها دون إذنها ، وتقدمت بشكوىٰ إلىٰ رسول الله طالبة فسخ ذلك العقد الباطل!! بل وقفت المرأة المسلمة وأمام الرجال تختار الشاب الذي تراه مناسباً لها وتعرض نفسها عليه!!

وتمسكت المسلمة بحقها الذي وهبها إياه رسول الله في حضور

الصلاة وسماع القرآن ومشاهد الذكر في المسجد ، غير عابئة بما طرحه بعض الرجال من باب الغيرة ليمنعهن من ذلك ، وليت البعض من الرجال اليوم يسمعون أمثال ذلك!!

وكذلك عملت المرأة المسلمة في بعض الحرف اليدوية : كالدباغة وغيرها!

بل عندما استجار مشرك بامرأة مسلمة أجارته ، ثم خرجت إلىٰ المسجد تقول أمام الصحابة ويسمع رسول الله ﷺ ذلك : لقد أجرت فلاناً الفلاني!!

ويوافق رسول الله على ذلك : « قد أجرنا من أجرت يا أمَّ هانىء »[1] .

ووقفت المرأة المسلمة في مجالس الرجال تسمع لمن يتحدث في أمور الدين والدنيا ، وما كان منها إلىٰ أن ردّت عليه ، وحاورته ، وناقشته أمام الرجال ، بل إذا رأت أنه أخطأ ردته إلىٰ جادة الصواب!!

أجل : إن المرأة المسلمة وقفت إلىٰ جوار الرجل المسلم ، تضحي معه بالغالي والنفيس من أجل رفع راية الإسلام ، قدّمت مصاغها ، وقدّمت أولادها ، وشجعت زوجها وإخوتها للانطلاق إلىٰ ساحات الوغىٰ!!

وحملت علوم الدين الحنيف وبلّغتها إلىٰ بنات قومها ، فتعلّمت وعلّمت ، وتفقهت وفقّهت ، وحفظت وحفّظت ، وشاركت في الصلوات والعبادات مع الرجال ، وشاركت في خدمة المجتمع ، سواء

(١) المغازي (٢/٨٢٩ـ٨٣٠) والدرر (٢٦١) وجوامع السيرة النبوية (١٨٤) وزاد المعاد (٣/ ١٢١) وعيون الأثر (٢/ ١٩٦) وسيرة أعلام النبلاء (٢/ ٣١٣) وتاريخ الإسلام (٢/ ٥٥٥) والسيرة الحلبية (٣/ ٤١) .

كان ذلك في مجالات النشاط الاجتماعي أو السياسي ، فكانت بحق خير ترجمة لحديث رسول الله ﷺ : « النساء شقائق الرجال »[1] .

لكن ـ وللأسف الشديد ـ مع تقادم الزمان ، خرج بعض الغلاة المتشددين ، تارة باسم الغيرة ، وتارة باسم الدين ، يريدون أن يعيدوا المرأة المسلمة إلىٰ ما كانت عليه في الجاهلية الأولىٰ ، لكن نداء الله يصل إلىٰ الأحياء فقط :

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨-٩] .

* * *

(١) سبق تخريجه .

الخاتمة

.. وبعد هذه الجولة السريعة بين آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة ، ونحن نتلمس الأمور التي تتحدث عن شخصية المرأة المسلمة ، رأينا شيئاً عجباً!!

هناك الكثير من الأمور الشائعة في المجتمع ، سواءً كان الذي يُشيعها مستشرق حاقد علىٰ الإسلام ، أو ببغاء يتكلم بلغتنا يردد ما يقوله أحد الطاعنين بالإسلام ، وسواء كان ذلك عن جهل وقلّة دراية وثقافة في أصول الشريعة الإسلامية ، هؤلاء يثيرون أنّ الشريعة من خلال القرآن المحكم والسنة الصحيحة المثبتة وأحداث السيرة وحياة الصحابة الكرام ، في وادٍ والناس اليوم ـ بما تناقلوه من موروثات مقدسة أكثر من تقديسهم للأصول ـ في وادٍ آخر ـ أي لا يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية!! ـ

والطامة الكبرىٰ أن تسمع أمثال هذا الهراء والدجل من أناس يصعدون منابر رسول الله ، ويحملون شارات الإسلام من عمامة أو جبة أو سبحة أو لحية وما إلىٰ هنالك .

وقد ترىٰ ذلك في بعض الكتب التي تحمل عناوين إسلامية برّاقة!!

ولكي لا يسأل أحد من أين ، وكيف ، ولماذا ؟ ولا يناقش أحد في مصداقية ذلك ، يلصقونها بأسماء عمالقة الرعيل الأول :

الفاروق عمر رضي الله عنه نهىٰ عن تعلم النساء الكتابة!! علي بن

أبي طالب قال : المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لابد منها!! الزهراء قالت : خيرٌ للمرأة أن لا ترىٰ الرجال ولا يراها الرجال!!!

والأنكىٰ من ذلك أن تلصق أمور برسول الله لصقاً ليحتج بها أمثال هؤلاء : الرسول قال : دفن البنات من المكرمات!! الرسول قال : النساء ناقصات عقل ودين!! الرسول قال : طاعة المرأة ندامة!! الرسول قال : شاوروهن وخالفوهن!!

وقد يأتي بعض الجهلة فيأخذون قسماً من آية أو حديث ويقفون عنده ، ويفسرون حسب الأهواء والمشارب ، كما في احتجاج بعضهم علىٰ عدم جواز خروج النساء إلىٰ المسجد بقوله تعالىٰ : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وهذه مغالطة وعدم اطلاع علىٰ المتشابه من النصوص. . .

لذلك كله : فإن كان في هذا الكتاب من فائدة واحدة ، فهي الكشف عن أمثال هذا الزيف ، وإزاحة هذا الركام من التراب الذي ازداد مع القرون ، ليكشف الضوء الساطع ، وتبرز حقائق هذا الدين العظيم ، ولعل هناك من يأتي من بعد فيأخذ هذه الخطوط العريضة التي ذكرتها ويشرحها أكثر ويسلّط عليها الأضواء ، ويزيد من ذكر النماذج لتتكون موسوعة ضخمة موثقة تدحض كل الشبهات التي تُثار في هذا المجال : ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم : ٢٠] .

إنها دعوة صريحة قابلة للنقاش والحوار ، دعوة إلىٰ كل مسلم ومسلمة ، دعوة إلى كل من يريد الوصول إلىٰ الحق مهما كان الثمن ، دعوة إلىٰ كل المشاغبين في طريق نشر هذا الدين الحنيف : هذا هو موقف الإسلام من المرأة ، موقف الشريعة من خلال آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة لإعطاء فكرة واضحة عن شخصية المرأة

المسلمة ، لأن المسألة لا كما يقولون : إن المرأة نصف المجتمع!! بل إن المرأة هي غالبية المجتمع ، هي التي تؤثر في النصف الآخر من خلال كونها زوجة وأم وأخت وبنت وعمة وخالة و. . . .

لذلك فمن أراد أن يأخذ الصورة الواضحة عن شخصية المرأة عليه ألا يسأل أناساً فشلوا في حياتهم الزوجية فتعقدوا من جنس النساء!! ولا يسأل أناساً يحملون أمام عيونهم ستاراً قاتماً لا يرون من خلاله إلا الظلام!! إنما فلنعمد إلىٰ طرح الأشياء علىٰ بساط المناقشة و ليُثبت كل واحد ما عنده ، ثم لنعلن : ﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

لأن المشكلة كما قالوا قديماً : وكل بالذي فيه ينضح ، ويروىٰ من باب العبرة أن واحداً قال أمام جمهرة الناس ـ ولعله واحداً من المعقدين من النساء فعلاً!! ـ

إن النســاء شيــاطيــن خُلقــن لنــا   نعــوذ بــالله مــن شــر الشيــاطيــن

فردّ عليه عالم منصف ، ولعله ينظر في أصول الشريعة الإسلامية لتحديد شخصية المرأة المسلمة ، وكيفية نظرة الإسلام إليها ، فقال :

إن النســاء ريــاحيــن خلقــن لنــا   وكلنا يشتهي شمّ الرياحين!!

أسأل الله تعالىٰ أن ينّور أمامنا الطريق ، لنرىٰ بنور الإسلام ، وأن يُبعد عنا الغلاة والمتنطّعين ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يكتب في هذا العمل المتواضع النفع والخير العميم ، وأن يجعل حسناته في صحائف والدي وصحيفتي ، وأن يجزي كل من كان سبباً في إخراجه وتصحيحه و. . . آمين آمين .

والحمد لله رب العالمين ، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

المصادر والمراجع

- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ط١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب ـ للرازي ، ط١، ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن الكثير ، ط١، ١٩٦٦م ، دار الأندلس ، بيروت .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ط١، ١٩٧٥م ، دار الفكر ، بيروت (د . ت) .
- زاد المعاد في هدى خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، ط١، ١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، ط١، ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي ، دمشق .
- الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، للزركشي ، دار القلم ، بيروت (د . ت) .
- البداية والنهاية ، لابن كثير ، ط١، ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المحلىٰ ، لابن حزم الظاهري ، منشورات المكتب التجاري للنشر ، بيروت .
- منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، ط١ المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر (د . ت) .

- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ط١، ١٩٧٨م ، دار الفكر ، بيروت .
- الأنـوار فـي شمـائـل النبـي المختـار ، للبغـوي ، ط١، ١٩٩٥م ، دار المكتبي ، دمشق .
- واحة الصالحات ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط١، ١٩٩٥م ، دار المكتبي ، دمشق .
- نظـرات فـي الإسـلام ، محمـد راتـب النـابلسـي ، ط١، ١٩٩٧م ، دار المكتبي ، دمشق .
- تـأمـلات فـي الإسـلام ، محمـد راتـب النـابلسـي ، ط١، ١٩٩٩م، دار المكتبي ، دمشق .

* * *

المحتوى

من وحي التنزيل ٥
تقديم الأستاذ الداعية محمد راتب النابلسي ٧
تمهيد ١٥

الباب الأول
شخصية المرأة في القرآن والسنة

تمهيد ٢١
الفصل الأول: حديث القرآن عن شخصية المرأة ٢٥
أ ـ المرأة دائماً بجوار الرجل ٢٥
ب ـ مشاركة المرأة الرجل في الأمور العامة ٣٣
ج ـ مشاركة المرأة الرجل فيما يتعلق بشؤون الأسرة ٣٨
الفصل الثاني: المنهج النبوي في الحديث عن شخصية المرأة ٤٢
حضّ رسول الله ﷺ على حسن رعايتها ٤٢

الباب الثاني
نماذج نسائية ـ للقدوة ـ في القرآن والسنة

الفصل الأول: نماذج نسائية ـ للقدوة الحسنة ـ في القرآن الكريم .. ٥٧
* النماذج السيئة:
١ـ حمالة الحطب ٥٧
٢ـ زوجتا نبيين في النار ٥٩

* النماذج الخيّرة:
١ـ زوجة إبراهيم عليه السلام ٦١
٢ـ آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ٦٢
٢ـ رحمة، نموذج الصبر ٦٣
٤ـ أم موسى عليه السلام ٦٤
٥ـ فتاة مدين، صفورة، وقوة فراستها ٦٥
٦ـ المرأة التي اصطفاها الله تعالى ٦٧
٧ـ الملكة بلقيس ٦٩
٨ـ خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها ٧٠
الفصل الثاني: نماذج نسائية ـ للقدوة الحسنة ـ في السنة المطهرة .. ٧٤
سمية زوجة ياسر ٨٤
نسيبة بنت كعب ٨٥
هند بنت عمرو ٨٦
أم حبيب بنت العاص ٨٧
حمنة بنت جحش ٨٨
أم حرام بنت ملحان ٨٨
رفيدة الأنصارية ٨٩
الربيع بنت معوذ ٩٠
أم زياد الأشجعية ٩١
أم سنان الأسلمية ٩١
أميمة بنت رقيقة ٩٢
أم رعلة القشيرية ٩٢
الخاتمة ٩٨
المصادر والمراجع ١٠١
المحتوى ١٠٣

شخصية المرأة المسلمة

من أين نستقي المعلومات الوافية عن شخصية المرأة؟

هل نعود إلى التاريخ السحيق ، لنأخذ منه المعلومات حول ذلك؟

أم نلتفت إلى الوضع المأساوي الذي تعيشه المرأة في الشرق والغرب؟!

أبداً ، فحلّ الإشكاليات يكون كما قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء : ٥٩] .

وهكذا يؤكد الدكتور المؤلف على أن المرأة في ضوء القرآن والسنة تحتل موقعاً متميزاً ، فهي :

- دائماً بجوار الرجل : لأن الأصل واحد ، والمسؤولية مشتركة .
- وهي تشارك في الأمور العامة : لأن لها شخصيتها المستقلة .
- ولها الدور الكبير فيما يتعلّق بشؤون الأسرة .

. . . تأمل الدار الناشرة أن يجد الأخ القارىء في هذا الكتاب الأجوبة الشافية عن كل هذه الإشكاليات . . .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢